الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي علي كافي تندوف

معهد: اللغة والأدب العربي

قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب جزائري

رقم: ...41.../...

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

بعنوان:

تمثلات الآخر في الرواية الجزائرية الناطقة باللّغة الفرنسية، رواية مولود فرعون الأرض والدم (أنموذجا)

إعداد الطالبة: رادية لوناس

إشراف: أ.د.شيبان رشيد

لجنة المناقشة:

أ.د. محمد رضا مغربي	المركز الجامعي تندوف	رئيسا
أ. د. رشيد شيبان	المركز الجامعي تندوف	مقررا
أ. آسيَة باتني	المركز الجامعي تندوف	مناقشا

السنة الجامعية: 2022 / 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

قال
الرسول صلى
الله عليه وسلم:
"من اجتهد و أصاب
فله أجران ومن
اجتهد ولم يصب فله
أجر واحد"

شكر وعرفان

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحا ترضاه

أحمد الله سبحانه على ما أولاه من جميع حباه من جزيل الوهاب أحمد الله وأشكره على إتمام هذا العمل.

يسرني أن أتقدم بخالص الشكر الجزيل و الاحترام و التقدير لأستاذي الفاضل الدكتور "شيبان رشيد " الذي اختصني بالنصح و تفضل علي بقبول الإشراف على رسالة الماستر الذي سهل لي طريق العمل ولم يبخل عليا بنصائحه القيمة ، فوجهني فكان قبس الضياء في عتمة البحث وكان نعم الناصح ولم يدخر جهدا ولم يبخل عليا من وقته الثمين أبقاه الله ذخرا لطلبة العلم وجعل ذلك في ميزان حسناته وأرضاه بما قسم له كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي.

إهداء

أشكر الله سبحانه وتعالى

على فضله وتوفيقه لي، والقائل في محكم التنزيل

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأزيدنكُمْ ... ﴾ الآية (7) سورة إبراهيم

إلى الأمي محمّد صلى الله عليه وسلّم الذي علّم المتعلمين سير الخلق.

إلى من علّمني معنى العطاء وحب مهنة التعليم أبي الغالي ووقف معي حفظه الله وأطال عمره.

إلى أمي الغالية نور حياتي أغلى ما أملك التي يعجز اللّسان عن شكرها ونور دربي وحياتي أطال الله في عمرها.

إلى زوجي الغالي الذي تحمل كل المصاعب وساندني طوال هذا المشوار بارك الله لي فيه وإلى والديه وأخيه وأخته.

إلى إخوتي وأختي، إيدير رحمه الله و ناصر و سعدية.

إلى أنوار قلبي أبنائي مانيس وإيدير

إلى كل واحد وقف معي ولم يبخل بمساعدتي.

لهم مني فائق الود والشكر والامتنان.

رادية لوناس.

المقدّمة

تعتبر الرواية من الفنون الأدبية المرتبطة بالمجتمع التي يكاد يرى فيها صورة ذاته متمثلة ومنعكسة داخل النص الروائي وقد عكست الرواية العربية منذ نشأتها الصورة النفسية للإنسان العربي، كما حملت همومه ومشكلاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعبّرت بصدق عن معاناته النفسية التي تشكّلت من خلال تعايشه مع تلك الهموم والشّخصيات، كما عكست ما يضطرم في نفسه من آمال وأحلام وما يحمل فيها من خيبات أمل ونزوات يأس.

فالرواية كغيرها من الأعمال الأدبية تمتلك أسسا وعناصر تجعل منها تشكيلا فنيا وجماليا يتجاوب مع إمكانية نقل وترجمة الصور الواقعية، والتي تميل أكثر إلى إبراز مدى فعالية هذه العناصر المؤسسة للنص الرّوائي وإبراز الخلفية الدلالية التي تنطلق منها الرّواية.

من بين الذين برعوا في الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية نجد الروائي "مولود فرعون" الذي له روايات عديدة تستحق الدراسة والتحليل، كرواية " الأرض والدّم " التي هي موضوع دراستنا تحت عنوان " تمثّلات الآخر في الرواية الجزائرية الناطقة باللّغة الفرنسية ".

أما فيما يخص الهدف الذي أردنا تحقيقه من دراستنا لهذه الرّواية، فيكمن في أنّ عنوان الرّواية لفت انتباهنا نظرا لما تحمله من دلالات عميقة، لاسيما محتواها، الذّي يعكس قيمة الأرض، والتضحية بالنّفس والنّفيس، وكذلك ما تعكسه الرّواية أيضا من مأساة وواقعية مآلها الحنين والرجوع إلى الأرض والأم.

ومما لا شك فيه أنّ اختيار موضوع البحث، يستند إلى مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية التي تنفي صفة العشوائية لموضوع الدّراسة، فالذاتية تكمن في حبّنا الكبير لفن الرّواية الجزائرية، ومحاولة الغوص في أغواره اللامحدودة، وكذلك إعجابنا وتقديرنا لكتابات الأديب "مولود فرعون"، وما يتميز به من واقعية في معالجته للموضوعات، أمّا عن الأسباب الموضوعية تعود إلى قلة الدّراسات الموجودة حولها، فكانت الانطلاقة في إشكالية "الآخر" في الرواية العربية عموما والجزائرية على الخصوص ليست مجرد موضوع روائي، بل هي إشكالية حضارية وجد فيها الرّوائيون مادة غنية للطرح، حين اختلفت تجاربهم الرّوائية حسب موقفهم من موضوع "الآخر"، وحسب زاوية النّظر، فالرؤية التي تنطلق من الوعي الحضاري، هي رؤية تقوم على محاولة الفهم وزيادة وتيرة الأسئلة، وهي الرؤية الأكثر حضورا في الرّواية الجزائرية.

فمنه كيف تمظهرت "الأنا" و"الآخر" في الرّواية؟ وما الدّلالات التي أوحى إليها الرّوائي من خلال توظيفه لهذين النسقين؟ وكيف تبنى "مولود فرعون" شخصياته الرّوائية؟

قصد الإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا إلى خطة كفيلة في الوصول إلى غايتنا من هذا البحث، حيث احتوت على مدخل وفصلين، الأول نظري والثاني تطبيقي، مفتتحا بمقدمة ومنتهيا بخاتمة.

توقفنا في المدخل عند فضاء الرّواية الجزائرية الناطقة باللّغة الفرنسية والفصل الأول الذي جاء مرسوم بعنوان " ضبط مصطلحات العنوان الأنا والآخر" من ناحية المعنى اللغوي والاصطلاحي، كما تطرقنا فيه إلى الكشف عن العلاقات التي تربط بين الأنا والآخر .

أمّا في الفصل الثاني تمّ التّحدث فيه عن"تمثلات الأنا والآخر" وقمنا بتحديد الإطار الزماني والمكاني للرواية، وكذا التّعرف على شخصيات الرّواية وأبعادها، وتمثلات "الآخر".

ثمّ كانت الخاتمة بمثابة رصد لأهم النتائج والملاحظات، ومحاولة منا للإجابة عن التساؤلات التي طرحناها في البحث بشكل عام.

اعتمدنا في هذه الدّراسة على منهج النقد الثقافي الذي رأيناه الأنسب لمثل هذه المواضيع كونه يبرز ما يخفيه النّص من أنظمة ثقافية فهو يعتمد على صور تنافرية وثنائيات ضّدية.

وقد استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها: "رواية الأرض والدّم" لمولود فرعون التي كانت محطة دراسة، سيزا قاسم "بناء الرّواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ"، نجم عبد الله كاظم "نحن والآخر في الرّواية العربية المعاصرة".

أما الصعوبات التي واجهتنا،فقد اعترضتنا بعض العراقيل،منها شساعة الموضوع وكثرة تداخله ،ونحن مقيدون بحجم المذكرة.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل الدكتور "رشيد شيبان" الذي كان عونا لي طيلة البحث .

رادية لوناس

يوم الخميس 28 شوال 1444هـ، الموافق لـ18 ماي 2023م

مدخل

يزخر تاريخ أدب العالم بأمثلة عديدة من الكتاب الذين كتبوا بلغة غير لغتهم الأصلية، إمّا طواعية منهم أو أنهم كانوا مضطرين لذلك لأسباب سياسية في بلادهم، فكتب بعضهم بالفرنسية وآخرون بالإنجليزية ولم يعتبروا نتيجة لذلك فرنسيين أو إنجليزيين، ومن بين هؤلاء "جبران خليل جبران" من لبنان و"إدوارد سعيد" من فلسطين ... وغيرهم.

شكّلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة وأثارت بذلك حولها جدلا كبيرا بين النقاد والدّارسين منهم من عدّها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية، والكثرة عدّوها رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية، باعتبار أنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي بها يكتسب الأدب هويته، ثمّ إنّ الكتابة الروائية بالفرنسية قد ساهمت في نمو الأدب الفرنسي أكثر ما ساهمت في إخصاب الأدب العربي.

كان ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية حدثا عظيما واستثنائيا لما كان يحدث مع الأدباء من ظروف صعبة جراء الاحتلال الفرنسي من طمس اللّغة والهوية، فتهميش اللّغة العربية دفعهم إلى تحقيق آمالهم رغم الظروف المستعصية فترجموها إلى لغتهم وأنتجوا العديد من الأعمال للتعبير عن أوضاع الإنسان الجزائري، ومثال ذلك من الأدباء مالك حداد، كاتب ياسين، محمد ديب، مولود معمري ومولود فرعون.

لقد تضاعفت المحاولات باللّغة الفرنسية في فترة الخمسينات، فنشر مولود فرعون عام 1950م " ابن الفقير"، وفي عام 1953م ظهرت له رواية "الأرض والدم"، وفي عام 1957م "الدروب الصّاعدة"، وصدرت يومياته سنة 1969م، في كتاب مستقل يحمل عنوان "مولود فرعون: رسائل إلى الأصدقاء"، وأخيرا نشرت روايته الأولى ولا تزال أول عمل أدبي يبدأ به كل تلميذ جزائري إطلاعه على الأدب الوطني، وكان "فرعون" يلفت انتباه مواطنيه كلّما أصدر كتابا جديدا، وسيضل ممثلا نموذجيا لجيله، جمع فعلا في ذاته "عالمين وثقافتين" ومثالا للفنان المخلص والشجاع الذي نجد في إبداعه أو محاولة جدية لتصوير حياة وطنه وشعبه بموضوعية، وطرح المشكلات والمتناقضات التي زخرت بها مرحلة يقظة الوعي الوطني للجزائريين تلك المرحلة المرتبطة بالكفاح من أجل الاستقلال.

استنتجنا مما سبق أنّ الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظهرت نتيجة ما خلّفه الاستعمار، بسبب الظروف التي عاشها الأدباء، فقدموا إنتاجات عديدة معبرة عن مشاكلهم وهمومهم وتعدّ روايات تلك الفترة تعبير عن واقعهم المرير.

الفصل الأول

اشكالية الأنا و الآخر في رواية "الأرض والدّم"

المبحث الأول:

مفهوم الأنا والآخر

1- مفهوم الأنا

2-مفهوم الآخر

المبحث الثاني:

مفهوم الهوية

1-لغة

2- اصطلاحا

المبحث الثالث:

صورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب

1.1- نظرة الشرق إلى الغرب

2.1-نظرة الغرب إلى الشرق

3.1-علاقة الشرق (الأنا) بالغرب (الآخر)

تمهيد:

تعتبر إشكالية الأنا والآخر من أهم وأبرز الموضوعات والمسائل التي اهتم بها العديد من المفكرين والدارسين، فقد أخذت حيزا مهما وكبيرا في ميدان الأعمال الأدبية والدراسات الحديثة.

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر

1- مفهوم الأنا:

1.1 – لغة:

الأنا هو «**هو ضمير المتصل الواحد وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها**»[1]، بمعنى أنّ الأنا تعبّر عن نفس واحدة. جاءت كلمة "أنا" في منجد اللغة والأدب والعلوم أنها «**ضمير رفع للمتكلم والأنانة قولك أنا**»[2]، بمعنى تقديس الذات وإثباته.

الأنا: «**اسم للمتكلم وحده، لا تثنية له من لفظة، أما (إني) فتثنيته (أنا)، وتشير (نحن) إلى (أنا جمعيّ) فهي تصلح في التثنية والجمع**»[3]، يعني أنّ كلمة "أنا" لا تحمل صفة التأنيث وهناك فرق بينها وبين لفظة "إني"، لأنه لديه تثنيته.

الأنا: «**هو التعبير النحوي المتعدد في اتصاله وانفصاله، الذي يؤكد الفعل الفردي للتلفظ في النص**»[4].

2.1- اصطلاحا:

لقد عرف ديكارت الأنا بقوله «**أنا أفكر إذن أنا موجود** »[5]، نفهم من هذا القول أن الإنسان موجود ما دام أنه يفكر.

كذلك الأنا هو الوعي وهو أساس لذاته[6]، أي أنّ الأنا مرتبطة بذات الإنسان.

1- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 449 – 450.

2- لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، ط 1، لبنان، 1993، ص19.

3-السيد عمر، الأنا والآخر(من منظور قرآني)، دار الفكر، دمشق، 2008، ص 136.

4 -عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000، ص164.

5- أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان، ط1، سوريا، 2009، ص192.

6- ينظر: جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث في الانطولوجيا الفنومينولوجية)، ترجمة: نقولا متيني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص164.

الأنا هي «**مركز الشعور والإدراك والحلم والبصيرة، فهو أنا وأنت وكيف أتعامل وتتعامل مع الآخرين، وبالصورة التي أحافظ وتحافظ على احترامك واحترامي وقبولي لديهم، والأنا هي الأفعال الإرادية التي تشرف على الجهاز الحركي**»[1]، نفهم من هذا التعريف أنّ "الأنا" مرتبطة بالحالة الشعورية الإرادية للفرد، وتأثيرها على العلاقات بين الأشخاص.

الأنا هي «**الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسر فصله عن أعراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية**»[2]، يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن "الأنا" هي الذات، كما أنّ "الأنا" هي النفس ولا يمكن فصل الأنا عن أعراض الفرد البشرية الأنا هي «**ضمير متكلم قائم بذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته، وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإن كان منتجا له، وناتجا عن علاقته به**»[3]، يقصد أنّ "الأنا" هي الذات المستقلة والمنعزلة عن الآخر والغير.

الأنا في الدين الإسلامي تعرف على أنه «**الأنا عبارة عن مجموعة من القيم الأصلية والمبادئ العليا التي جاء بها الدين الإسلامي، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قام بها المسلمون على مدى تلك القيم والمبادئ .... فحينما نستخدم مصطلح "الأنا" أو الذات فإن المقصود من ذلك هو القيم المعيارية المتعالية على الزمان والمكان مع تجربة إنزال تلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي والمتحرك والمتغير**»[4]، يعني أن الأنا عليها التصالح والاحتكاك مع الآخر.

إن علم الاجتماع درس موضوع الأنا وعلاقته بالآخر، حيث ربط الأنا الفردية بالمحيط الذي يعيش فيه الفرد [5].

---

1 – بشرى كاظم الحوشان الشمري، علم نفس الشخصية، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2007، ص 38 – 39.

2 – إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983، ص 23.

3 – أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية، علاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، ص404..

4–سوسن البياتي، "النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 3 حزيران، جامعة تكريت 2010، ص 70 – 71.

5 –ينظر: ميخائيل إبراهيم أسعد، شخصيتي كيف أعرفها؟، دار الأفاق الجديدة، ط3، لبنان، بيروت، ص2003، ص70.

2-مفهوم الآخر:

1.2- لغة:

لقد وردت كلمة الآخر في لسان العرب بمعنى «**أحد الشيئين وهو اسم أفعل والآخر بمعنى غير، كقولك: رجل آخر وثوب وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلنا، أبدلت الثانية ألفًا لتكونها وانفتاح الأولى قبلها**»[1]، أي أنّ كلمة الآخر تمثل الغير وقد وقع فيها بعض التغيير لسهولة نطقها.

كما وردت في القرآن الكريم في **قوله تعالى**: «**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقُبِّلَ منْ أحدهما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ من الآخر قَالَ لأقتلنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**»[2]، أي قرب كل منهما قربانا لله تعالى، فتقبل الله قربانا أحدهما لأنه كان من أحسن ماله، وكانت نفسه طيبة، وهو هابيل ولم يتقبل من الثاني وهو قابيل، فقال لأخيه هابيل لأقتلنّك حسدا له، كما حسدتك اليهود، وحسدوا قومك في نبوتك ورسالتك – فقال له أخوه إن عدم قبول قربانك عائد إلى نفسك لا إلى غيرك إنّما يتقبل الله من المتقين.

وقوله تعالى أيضا: «**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فأخران يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتُحقَّ عَلَيْهِمْ الأَوْلَيَان فيُقْسمان بالله لَشَهَادَتنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتهما وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظالمينَ**»[3]، أي وأن وجد أنّ الذين حضر الوصية وحلفا على صدقهما فيها وصاهما فيه من حضره الموت إن وجد عندهما خيانة أو كذب فيما حلفا عليه، فيقسمان بالله: لشهادتهما أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما.

إضافة جاء في معجم النفائس «**هو الأشد تأخرًا في الذكر ثم أخرى مجرى غير، وهو خاص ما تقدمه، فلو قلت: جاءني رجل وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس الرجل بغلاف "غير فإنّها تقع على المغايرة مطلقا في جنس أو صفة والجمع آخرون، ومؤنثة أخرى، وأخرا تاج أخريات وآخر**»[4].

تعرّف كلمة الآخر في معجم الوسيط بأنها «**أخذ الشيئين ويكون من جنس واحد**»[5].

كما جاء في معجم الصحاح «**وليس كذلك آخر، لأنه يؤنث ويجمع بغير (من) وبغير الألف واللام وبغير الإضافة، تقول: مررت برجل آخر، وبرجال أخر وآخرين، وبامرأة أخرى، ونسوة أخر**»[6].

1-أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 2004، ص 151.

2- سورة المائدة، الآية 29.

3- سورة المائدة، الآية 107.

4- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط المكتبة الإسلامية، تركيا، ص9.

5- الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2008، ص30.

6 – أحمد أبو حاقة، معجم النفائس، دار النفائس، لبنان، د ت، ص19.

لقد وردت كلمة الآخر في سورة المؤمنون **قوله تعالى:** «**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا االعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَهُ خَلْقًا أَخَرَا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الخالقين**»[1]، أي المنحدرة من صلب آدم أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بأصبعه، وهي قطعة لحم قدر ما يمضغ الأكل، أي إنسانا آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عزّ وجل آدم وذريته.

2.2 – اصطلاحا:

والآخر من الناحية الاصطلاحية «**بنية لغوية رمزية، ولاشعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليها (الآخر)**»[2]، يعني أنّ الآخر بنية تساهم في مساندة الأنا من أجل إثبات وجودها.

والآخر هو ذلك «**الغريب غير المألوف أو هو "غيري" بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدّد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص امتدّ مفهوم "الغيرية" هذا إلى فضاءات مختلفة**»[3]، يتضح من خلال هذا القول أنّ الآخر هو إنسان غير مألوف لدى الحضارة الشرقية باعتبار الآخر عالم متطور.

كما يُعرف الآخر على أنه «**الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية، تبدأ من أدق الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات، عبر زمن شديد الضآلة، ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان**»[4].

والآخر عند جان بول سارتر «**الآخر هو الغير، أي الأنا الذي ليس هو أنا، ندرك إذا هنا سلبًا من حيث هو بنية مكونة الآخر ككائن، فالفرضية المسبقة المشتركة بين المثالية والواقعية،هي أن السلب المكوّن هو سلب خارجا في الآخر ليس أنا، وأنا ليست هو**»[5]، نفهم من هذا التعريف أنّ الآخر هو الغير وليس "الأنا".

الآخر «**ليس كائنا نصادفه فيهددنا أو يريد أن يستولي علينا وهو إذا كان عصيا على سلطتنا فهذا**

1- سورة المؤمنين، الآية 14.

2-محمد الخيار، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص 21.

3 – ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الرباط، المغرب، 2002، ص 21.

4- صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2003، ص10.

5- جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث في الأنطولوجيا الفنومينولوجية)، ترجمة: نقولا متيني مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت، لبنان، 2009، ص 322.

لا يعني أن يمثل سلطة أكبر من سلطتنا، إنه الأخرية التي تصنع كل سلطة، وإنّ غموضه هو الذي يكون غيريته»[1].

يعتبر "الآخر" «**مجموع القيم والمبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب الحضاري، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي عموما، انطلاقا من تلك القيم، وعملا باتجاه إنزالها في الواقع الخارجي**»[2]، إنّ "الآخر" هو الغرب المثقف والحضاري الذي يمتلك التجربة والسلطة.

من خلال المفاهيم التي ذكرناها سابقا نستنتج أنّ مصطلح "الأنا والآخر" اختلفت تعاريفه من ناقد لآخر، ولكنهم يجتمعون في نقطة واحدة هي أنّ "الأنا" تعبر عن الذات الواعية، وأما "الآخر" هو الغير الذي يخالف الأنا ويتصادم معها.

.

1- إيمانويل ليفيناس، الزمن والآخر، ترجمة منذر عياشى، دار نينوى، ط1، سوريا، دمشق، 2005، ص60.

2- سوسن البياتي، "النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد3، حزيران، جامعة تكريت، 2010، ص 71.

المبحث الثاني: مفهوم الهوية

تمهيد:

إن قضية الهوية من القضايا والمسائل المطروحة كثيرا في عصرنا هذا، إذ أصبحت موضوعًا وإشكالا لدى العديد من الباحثين والمفكرين والدارسين، وبالتالي طرحوا هذه القضية في مختلف أعمالهم الأدبية والإبداعية ووضعوها ضمن أولوياتهم (الاجتماعية، الثقافية، النفسية) فاتسع مفهوم ومدلول الهوية، حيث كل باحث ومفكر أعطى مدلولا خاصا به لموضوع الهوية وبالتالي لم يكن هناك مفهوم جامع وشامل لمصطلح الهوية بل تعدّدت مفاهيمها من دارس لآخر وهذا راجع إلى تعدد جوانبها واتساعها، «**فالمرء حين يحسّ بأنه ثمة ما يهدد وجوده، يسرع إلى تأكيد ذاته باحثا عن شيء أصيل كامن في أعماقه، يركن إليه، كي يحس بالثقة والأمان والقوة لمواجهة الخطر، وبذلك تتشكل الهوية في أدغال الذات، حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي**... »[1]، أي أن الفرد عندما يشعر أنه في مرحلة الخطر وتعترض طريقه مختلف المشاكل والصعوبات، حينئذ نجده يحاول تفادي تلك الصعوبات وذلك من خلال إثبات وجوده وذاته وهويته.

الهوية قضية طُرحت كثيرا في الأعمال الأدبية والإبداعية من قبل مجموعة من الدارسين والمفكرين، والسبب في طرح هذه الإشكالية هو نتيجة تهديد العالم الغربي للعالم الشرقي، باعتبار الغرب بلد متحضّر ومتقدّم ويحتقر الشرق العربي المتخلف وذلك بفرض سيطرته وقوته واستعماره له، ولكن هذا الأخير حاول أن يواجه الغرب، ذلك من خلال إثبات هويته والتمسك بمكوناتها وخصوصياتها[2].

لقد ورد في المعجم الفلسفي مصطلح الهوية «**اسم الهوية ليس عربيا في أصله وإنّما اضطر إليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان**»[3]، ونفهم من هذا التعريف أنّ الهوية مصطلح أعجمي تمّت ترجمته عند العرب وقاموا بدراسته.

1-ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط، المغرب، ط 2، 2003، ص 15.

2- ينظر: نفس المرجع ، ص13.

3-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 529.

1 – لغة:

كما ورد في المعجم الفلسفي بمعنى: «**الهوية تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود، من الألفاظ المنقولة لأنّها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ذلك ألحق بها التطرق المختص بالأسماء وهو الألف واللام واشتق منها المصدر ففي الهوية من الهوا، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية من الرجل، وإنّما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها أقل تغليظا من اسم الوجود إذا كان شكله اسم مشتق**»[1].

أما الشريف الجرجاني يعرفها بأنها «**الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا شرط شيء ولا يشرط لا شيء** »[2]، يتبين لنا من هذا التعريف أنّ الهوية تشمل كل العناصر المتعلقة بالأصل.

ورد في المنجد الأبجدي كلمة الهوية بمعنى «**حقيقة الشيء أو الشخص المطلق المشتملة على صفاته الجوهرية، وذلك منسوب إلى هو، نقول بطاقة الهوية وتذكرة الهوية**»[3]، نفهم من هذا التعريف أنّ الهوية هي التي تعبر عن كل الأشياء والخصوصيات الجوهرية للفرد.

2– اصطلاحا:

هناك من يرى أن «**الهوية فيض متجدد لا يمنعه ثبات نواته عن إمكانية التفاعل مع الواقع المتغير. إنّ الهوية السردية ليست هوية ثابتة، وذلك لاتساعها شمولا وفيضا بفعل تجارب الذات اليومية، وبذلك تظل الهوية مشروعًا يطلب دومًا التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز**»[4]، نفهم من هذا التعريف أنّ الهوية هي بنية متطورة ومتحولة ومتغيرة، وليست بنية ثابتة مجردة.

وتعتبر الهوية: «**عناصر التركيب في علاقاتها الداخلية التي تعطي للكائن خصائصه الأساسية والتي تصل بالوسط الخارجي طبيعيا كان أو غير طبيعي، ومنه يتضح أيضا أن الهوية ليست كيانا ثابتا ومطلقًا، وإنّما هو متغير**»[5]، فالهوية عبارة عن بنية خارجية متحولة.

1- مراد وهبة المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007، ص667.

2-الشريف الجرجاني، التعريفات، تر: إبراهيم الأبيارى، دار الكتب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1958، ص ص135-137.

3- المنجد الأبجدي، المكتبة الشرقية، دار المشرق، ط5، بيروت، لبنان، ص 1196.

4- بول ريكور، الهوية والسرد تر حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009، ص ص 30 – 31.

5-رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية المعاصرة، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 2003، ص215.

كما عرف الفارابي الهوية بأنّها «**هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك**»[1]، فالهوية تعتبر شيء يخص الفرد والجماعة الإنسانية، فمن خلال الهوية الفرد يتمكن من إثبات وجوده وذاته.

يرى محمد عابد الجابري بأن الهوية «**كيان يصير، وليس معطى جاهزا ونهائيا، هي تصير إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا، احتكاكها سلبًا وإيجابًا مع الهويات الثقافية الأخرى**»[2]، يتضح لنا من خلال هذا التعريف أنّ الهوية بنية متواصلة وصيرورة دائمة، تتطور وتتحول مع الأوضاع والأحداث.

كما يعرف المفكر العربي محمد عمارة الهوية قائلا «**الهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها.. و هوية الشيء هي ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة**»[3]، نفهم من هذا التعريف الذي قدمه محمد عمارة أنّ الهوية بنية ثابتة وليست بنية متجددة ومتحولة.

«**ويصدف أن يكتسب حدث، مفرح أو مؤلم، أو حتى لقاء عابر، أهمية في ادراكنا لهويتنا أكثر من الانتماء إلى ارث عريق يعود إلى ألاف السنين**... »[4]، يتضح لنا أنّ الهوية قابلة للتغيير بسبب ظرف سياسي كتفكك بلد أو زواج مختلط، من المؤكد أنّ هذه العناصر تحدث تغيرات في الهوية التي نعتقد أنّها ثابتة.

لأنّ «**الهوية هي كيان يتشكل –أو يشكّل – في مجرى التاريخ، وبذلك تكون عرضه كأي حدث تاريخيي للتغير والتقلب والتحوّل والانقطاع**»[5]، من خلال هذا التعريف يتّضح لنا أن الهوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعامل التاريخي.

والهوية في عمومها تنقسم إلى نوعين:

1-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 530.

2– الطاهر جاووت، السرد وتشكل الهوية (قراءات في الرواية البحث عن العظام)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 13 جامعة بسكرة (الجزائر)، 2017، ص88.

3 – الطاهر جاووت، السرد وتشكل الهوية، ص 87.

4- أمين معلوف، الهويات القاتلة، دار الفرابي، ط3، بيروت (لبنان)، 2015، ص21.

5- نادر كاظم، الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، دار الفراشة، ط2، الكويت، 2016، ص139.

هوية فردية: تعتمد أساسا على المميزات الجسدية الفردية التي تميز كل كائن بشري عن الأخر من بين ملايين البشر في المعمورة وابرز مثال علمي على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف علميا.

هوية وطنية: هي مجموعة السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو مجتمع أو وطن معني عن غيره أو هي «**نسبة للوطن الذي يسكنه شعب متميز بشخصية أو هويته، والاختلاف في مقومات الشخصية الفردية والجماعية أو الوطنية هو اختلاف في النوع وليس في الدرجة**»[1].

وبالتالي، فإن الهوية فوق كل شيء علائقية، فهي عرضة للتغيير عندما تتغير الظروف في العالم، وهذا يفسر سبب عدم منحها أو حصولها بشكل نهائي؛ بل هي تبنى، تستمر عملية البناء هذه طوال الحياة، على الرغم من أن بعض عناصر الهوية الشخصية أكثر ديمومة من غيرها، يعكس بناء الهوية التاريخ الشخصي لكل شخص. تتضمن هذه المسيرة عدة عناصر مختلفة: تفاعل الشخص مع والديه، وتعلم الأدوار المرتبطة بجنسه ولغته، والتعليم الذي يتلقاه في بيئته.

1- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، ، دار الأمة، (د-ط)1995، ص59.

المبحث الثالث: صورة اللّقاء الحضاري بين الشرق والغرب

1 – نظرة الشرق إلى الغرب:

إن العلاقة القائمة بين الشرق والغرب علاقة تواصل وتصادم في نفس الوقت، حيث أنها لم تنقطع على مرّ العصور، وقد اتصلا ببعضها البعض من خلال عدة مجالات، بالرغم من هذا الاتصال إلا أن العلاقة بينهما علاقة صراع ونزاع ومازلنا إلى يومنا هذا تحت هذا النزاع، وأصبح هذا الأخير من أهم القضايا التي شغلت الكثير من الدّارسين، وجعلوا من هذه المسألة موضوعًا مهما في أعمالهم الإبداعية، وبحكم أن الإنسان العربي محتك بالآخر فقد تكونت لديه عدة رؤى مختلفة ومتباينة عنه، إنّ الأنا عندما توضع في موضع لقاء أو مواجهة مع الآخر فإن كلاهما يشكل نظرة ما عن الآخر، قد تكون نظرة حب، أو ازدراء، أو كراهية .... ومهما تكن طبيعة هذه النظرة، فهي تحوّلها إلى موضوع قابل للتأمل، فلولا أن الآخر يرى الأنا وينظر إليها لظل شيئًا بين الأشياء، لا يمتاز عنها في شيء ولكنه بنظرته إليها يبعدها عن شيئيتها ويدخلها إلى عالمه كموضوع للتأمل[1]، يعني أنّ الأنا لديها عدة مواقف ورؤى اتجاه الآخر الغربي.

كوّن اللقاء بين الشرق والغرب مواقف ورؤى عديدة مختلفة قسمها المفكرين العرب إلى:

1.1 – موقف الإعجاب بالآخر:

إنَّ الشرق تنظر إلى الآخر الغربي نظرة اندهاش وإعجاب لما وصل إليه من التقدم والتطور في مختلف المجالات والميادين، فمعروف أنه ومنذ بدايات القرن التاسع عشر بدأت تنتشر صورة معينة عن أوروبا الليبرالية في جل البلدان الإسلامية.اكتشاف هذه الصورة يرجع إلى كون النخبة العربية نظرت إلى أوربا بوصفها نموذجا حضاريا يجسد القوة والعلم والحرية، ولأنّ هذا النموذج يحمل هذه الخصائص الإيجابية في ذاتها، فإنه يتعين استلهام أسباب هذه القوة وإجراء الإصلاحات الضرورية الكفيلة بتجاوز التأخر التاريخي الذي تتخبط فيه البلدان العربية الإسلامية [2]، يتضح لنا من خلال هذا أنّ العرب (الشرق) قد أعجبت من الحضارة الغربية، لأنّها تتمتع بالكثير من الثقافة والعلم والتحضر.

فمن خلال هذا التطور الذي وصل إليه المجتمع الغربي، يجب على الإنسان الشرقي أن يستفيد منه ويقيم علاقة معه وتوطيدها، فهو بمثابة اليد التي تمد المساعدة للخروج من هذا التخلف الذي تعيشه، والنهوض منه من جديد من أجل تكوين ذاتها، « **فالعربي إذن يدرك ويعي الاختلاف والتباين الكبير بينه وبين الغربي، فالعربي ذو عقلية بسيطة متخلفة، بدائية، نشأ نشأة محافظة وتقليدية، أمّا الغربي فهو ذو عقلية**

---

1 – ينظر: فؤاد كامل الغيزني، فلسفة ساتر، دار المعارف، مصر، القاهرة، د ت، ص 34.

2 – ينظر: نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص52.

متقدمة متحررة»[1]، أي أنّ هناك اختلاف كبير وواضح بين الإنسان العربي والغربي، وهذا الأخير الذي تمثل السلطة والتفوق على الأنا الشرقية فهو متحرر على عكس الرجل الشرقي المنغلق والمتخلف.

2.1- الموقف العدواني:

هناك فئة أخرى تعادي وتعاكس الموقف الأول، فهي ترى أن الآخر هو العدو اللّدود المدمر للثقافة العربية، باعتبار هذه الأخيرة قد عانت القهر، والتهميش، أصبحت نظرتهم يشوبها الحقد والكراهية فهما عدوان تاريخيان من غير الممكن التعايش مع بعضهما البعض في إطار علاقة إنسانية وحضارية، «**الإنسان الشرقي ينطلق من موقفه العدائي من الغرب من عدة حجج وتبريرات من بينها الطبيعة العدوانية للغرب ممثلة بالغزوات والحملات العسكرية المتكررة ضد الشرق منذ عصر الإمبراطوريات القديمة مرورًا بحملات الفرنجة في العصور الوسطى، انتهاءًا بالإحتلالات الغربية المعاصرة** ...»[2]، يتضح من هذا القول أنّ العدائية التي يكنّها الرجل العربي كانت منذ زمن بعيد بسبب الاحتلال التي قام بها الغرب، حيث حاول أن يطمس هوية الغربي وتهميشها بمختلف الوسائل القمعية، ومازال الحال إلى يومنا، لكن الآن بطريقة غير مباشرة إذن فالشرق والغرب عدوان تاريخيان، حيث يسعى المجتمع الغربي إلى تدمير الشرق ومحاولة السيطرة عليه.

فالعلاقة العدائية التي تجمع الشرق بالغرب كانت نتيجة العوامل التاريخية، يقول عبد محمد بركو «**عملت العوامل التاريخية الآنفة الذكر على استفحال ظاهرة الخوف والنفور من الغرب وساهم ذلك بظهور الحركات الكارهة للغرب، المنادية بمقاومته في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية** »[3]، يعني أنّ الشرق بسبب العوامل التاريخية نشأت في نفسيتها مشاعر الخوف والارتباك من العالم الغربي وبالتالي نرى أنّ الشرق ابتعدت منه ونظرت إليه نظرة رفض وعداء.

إنّ الأنا لم تبق مكتوفة الأيدي فقط، بل لم تسمح لذلك الآخر أن يسيطر عليها، فهي قاومته وحاولت تكوين نفسها وهويتها من أجل التصدّي لذلك الآخر، الذي حاول التقليل من قيمته بشتى الطرق، فأصبح الغير بمثابة الوحش المدمر الذي لا يعرف الرحمة.

أصبحت العلاقة بينهما علاقة صراع لا نهاية له، فالكل يحاول أن يفرض سيطرته على الآخر، والقوي يحاول أكل الضعيف لا يمكنهما أن يلتقيان، فهما بمثابة الإيجابي والسلبي, وكل منهما يحمل الحقد للأخر.

1-إيمان صالح، جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل، 17-5-2008.www.alwatanvoice.com.

2- المقال نفسه.

3 - نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 56.

3.1 – الموقف المعتدل والحيادي:

بمعنى أن أصحاب هذا الاتجاه ينظرون إلى الغرب نظرة متوازية فهم لا يحملون الكره ولا الإعجاب، صحيح أن الغرب يحاول أن يطمس الهوية العربية من جهة، لكن من جهة أخرى فقد جاء بالعلم والمعرفة والثقافة.

هذا الموقف يمكن وصفه بالموقف الموضوعي أو العقلاني لأنه «**هو الذي يعترف بوجود الآخر، والأهم بتقدم الآخر، كما يروي شره وسلبياته، وعليه لا يرى من بأس، إن لم يكن من الضروري الاتصال به والاستجابة له مع السعي لتجنب سلبياته وضرر الاتصال به والاستجابة له، وإن لم يصاحب مثل هكذا موقف حماسة لذلك الآخر**،»[1]، يتضح لنا من هذا القول أنّ الموقف المعتدل والحيادي هو موقف موازي يعني أنّه يعترف بإيجابيات وسلبيات البلد الغربي في الآن نفسه، كما أنّه موقف يعترف بخير الغرب وبشره.

وفي الأخير يمكننا القول بأن الأمة العربية لا يجب أن تكون منغلقة كثيرًا على نفسها فتمنع تيار التطور أن تتسرب إليها من جهة، فتصبح جامدة متحجرة من جهة أخرى ولا يجب أن تنفتح كثيرًا لدرجة أن تسمح لهذا الاحتكاك أن يفقدها شخصيتها، بالتالي تتخلى عن هويتها، ضعيفة سهلة التمزيق والتشتيت، فتصبح غير متماسكة، وفريسة سهلة.

إذن الانفتاح، وعدم التخلّي عن الموروث العربي القديم يجعلان من الأمة العربية دولة قوية صعبة المنال.

2 – نظرة الغرب إلى الشرق:

جاء عصر النهضة وجاء معه العلم والتطور في مختلف الميادين، وعرف تغيرات حضارية كبرى عند الأوروبيين، واختلف القطب الغربي اختلافا كبيرًا عن القطب الشرقي، لأن هذا الأخير لم يحظ بهذا القدر من التطور، بالتالي أصبحت نظرة الآخر نظرة يسودها التكبّر والاستعلاء حيث يعتبر الرجل الشرقي رجل متخلف، وحشي، كائن ضعيف، فلا مكانة له في هذا العالم والعلاقة التي تجمعهما هي علاقة صراع ونزاع منذ القديم.

درس "إدوارد سعيد" هذه الفكرة في كتابه الاستشراق وحاول تقديم رأيه، وقد أعرب كرومر وبلفور عن أفكارهما، وتقديم نظرية وحجة يسهل فهمها فهي تقول بوجود جانبين: «**الغربيون والشرقيون، فالجانب الأول يسيطر، والثاني لا بد من السيطرة عليه، وهذه تعني في العادة احتلال أراضيه، والتحكم بصرامة في شؤونه الداخلية ووضع دمه وماله تحت تصرف دولة غربية ما**»[2]، أي أنّ العالم انقسم إلى جانبين،

1-نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 58.

2-إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2006، ص 90 -91.

فالأول هو القوي (الغرب) والثاني هو الضعيف (الشرق) الذي تم احتلاله وغزوه في كل الميادين.

قدم "بلفور" رأيه عن الشرق إذ يقول "إدوارد سعيد": «**الشرقيون عند بلفور هم الأجناس المحكومة عند كرومر وهم الذين جعلهم موضوع مقال طويل نشرت في مجلة إدنبره ريقيو في يناير 1908، وهنا نرى من جديد أن المعرفة بالأجناس المحكومة أو بالشرقيين هي التي تجعل إدارة شؤونهم يسيرة ومربحة، فالمعرفة تأتي بالسلطة، وزيادة السلطة تتطلب زيادة المعرفة**»[1]، بمعنى أن المجتمع الشرقي هو مجرد جنس محكوم، تمت السيطرة عليه وقد حاول الغرب أن يدرسوا الشرق ليس من أجل الدراسة فقط بل من أجل أن يتعرفوا عليه ومحاولة امتلاكه والاستحواذ عليه، لأن المعرفة تساعد في القوة، وتساهم في استعماره بشكل أسهل، لأن الشرق بنظرهم كائن ضعيف، يحتاج إلى من يحكمه، ويصدر أوامره عليه، وإدارة شؤونهم. وكلما زادت معرفتهم عليه زادت قوتهم، وعرفوا نقاط ضعفهم أصبحت السيطرة عليه شيء سهل وبسيط. حيث حاولوا معرفة أحوال الشرقيين، وشخصيتهم، وثقافتهم، وتاريخهم، وتقاليدهم، حيث بين "كرومر" أن الشرقيين أو العرب يسهل خداعهم، وأنهم يفتقرون إلى النّشاط وروح المبادرة، مولعون بالإفراط في المدح والملق... والقسوة على الحيوان، ويقول أن الشرقيين لا يستطيعون المشي في الشارع أو على رصيف لأن أذهانهم الفوضوية تعجز عن فهم ما يدركه الأوروبي الذكي على الفور وهو أنّ الشوارع والأرصفة قد جعلت للمشي، ويقول إن الكذب متأصل في الشرقيين، كما إنهم كسالى ويستريبون بغيرهم وفي كل شيء يمثلون عكس صفات الوضوح والمباشرة والنبل التي يتحلى بها الجنس الأنجلوسكسوني[2]، من خلال هذا القول نستنتج ونؤكد بأن الغرب ينظرون إلى الشرق نظرة استهزاء وحقد، وأن الرجل الشرقي يختلف تماما عن الرجل الغربي، لا يعرف كيف يمشي على الرصيف، أي أنهم مازالو منغلقين، لم تصلهم الحضارة، يتميزون بالكذب، والكسل والخمول، على عكس المجتمع الغربي الذي يتميز بالنبل والوضوح، مجتمع عريق، يسوده النظام والتفاهم وهو ضد الشرق العالم الشرقي عُرف بأنه عالم متخلف يسوده الجهل والفقر، وهذا ما جعل الغرب (الآخر) يستغل الفرصة، ومحاولة إصدار الأوامر عليه لأنه القوي، وكانت هذه دائما نظرة الآخر للأنا الشرقية، خاصة وأن الآخر بما وصل إليه من تقدم ورقي في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية فهو يستحق التقدير والإعجاب، وهو على عكس الشرق الذي لم يعرف التطور، مازال في ركود وخمول، له نظرة

1 – إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2006، ص91.

2-ينظر: المرجع السابق، ص95.

سلبية اتجاه الأنا.

يرى بلفور وكرومر أنّ: «**الشرقي غير عقلاني، وفاسد، ومختلف، ومن ثم فإن الأوروبي عقلاني، وناضج، وسوي، ولكن وسيلة إحياء العلاقة لم تكن تتغير، فكانت دائمًا ما تؤكّد أن الشرقي يعيش في عالم خاص به، وقد يكون هذا العالم مختلفا لكنه يخضع لتنظيم محكم، فله حدوده القومية والثقافية والمعرفية، ومبادئ الاتساق الداخلي**»[1]، بمعنى أنّ بالرغم من كل السلبيات التي نظر إليها الغرب (الآخر) إلى الشرق (الأنا) وكونه فاسد، متخلف غير عقلاني إلاّ أن العالم الشرقي له إيجابياته الخاصة، بالرغم من أنه عالم مختلف عن الغرب لكن له نظام خاص به محكم، وله مبادئه الخاصة التي يسير عليها. ربما هذا ما جعل الغرب محاولة الاستحواذ والسيطرة عليه، فقد أعجب به وأراد أن يشاركه عالمه، وذلك العالم البسيط المختلف له عاداته وتقاليده، ومبادئه التي تختلف تماما عن العالم الغربي، وهنا نجد إعجاب الغربي (الآخر) بالشرق وقد حاول امتلاكه، وامتلاك أراضيه التي أراد السيطرة عليها، لكنه ينظر إلى المسلم باحتقار وازدراء فهو لا يستحق العيش على هذه الأرض، بل الزوال الشامل له ولدينه.

لقد تغيرت نظرة الغرب للشرق مع بداية عصر النهضة «**ويلاحظ أيضا أن النظرة الغربية الضيقة للشرقي، بدأت تخف حدتها في عصر العولمة، إذ باتت وسائل المعرفة متاحة للجميع بفضل سهولة الاتصال بين أرجاء العالم حيث نجد اليوم كثيرًا من شباب الغربي، يغامر بالسفر إلى الشرق، ليعيش ثقافة**»[2]، مع تقدم العلم والمعرفة تغيرت نظرة الغرب إلى الشرق، فلم تصبح تلك النظرة السلبية الاستعلائية، أو ذلك الحقد والكره، بل على العكس فقد أصبح هناك اتصال بين العالمين (الشرقي والغربي) وكل منهما يحاول معرفة الآخر، وتكوين صداقة بينهما، وفك النزاع الذي كان بينهما منذ زمن طويل، وإزالة الكراهية والحقد بين الشرق والغرب، وذلك من خلال معرفة ثقافات بعضها البعض وتفاصيل الحياة التي يعيشونها.

وبناءًا على ما سبق نخلص إلى أن نظرة الآخر إلى الأنا تختلف، صحيح أن هناك نظرة سلبية للشرق (الأنا)، لكن هذا لا يعني أنه ليس هناك إيجابيات، فمع التقدّم الذي حصل في مختلف الميادين زال الحقد والكراهية، حيث أصبح هناك تواصل بينهما وحوار حضاري بعيد عن السلطة وجعل الفكر العربي والغربي يتقبلان بعضهما البعض.

1-المرجع نفسه، ص 96.

2-ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 23.

3- علاقة الشرق (الأنا) بالغرب (الآخر):

منذ فجر النهضة العربية ظلت إشكالية العلاقة بين الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) من أهم الموضوعات والإشكاليات الفلسفية والسياسية التي شغلت الكثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين العرب، وبالتالي جعلوا هذه الجدلية موضوعا لإبداعاتهم الأدبية والفنية والتاريخية والفلسفية، ومن خلال هذه الثنائية (الأنا) و(الآخر) تمظهرت ما يسمى بالعلاقة بين الشرق والغرب. والسؤال الذي يطرح نفسه باستمرار ماشكل العلاقة القائمة بينهما هل هي علاقة تواصل وتكامل أم علاقة تنافر وصراع؟

لقد حضت العلاقة بين الأنا الشرقية أو الآخر الغربي بأهمية كبيرة جدًا في الدراسات النقدية المعاصرة وخصوصا في الأعمال الروائية، باعتبارها من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة والكشف عن الحقائق أمام القارئ والمتلقي لفهم الذات والغير معًا، فمن خلال الرواية كل الأشياء الغامضة والمخفية في دواخلنا وأعماقنا تحاول الوصول إليها والتعمق فيها كما تطرح إشكاليات تعانيها الأنا في مواجهة الغير [1].

فمعظم الدراسات الأدبية والروائية وخصوصا العربية اهتمت بالآخر (الغرب) من خلال تشابكات علاقته "بالأنا"، إذ صورة الآخر وتمثيلاتها، لا يمكن أن تتضح بمعزل عن صورة "الأنا" وتمثيلاتها، نفهم من هذا الكلام أنه لا يمكن الحديث عن "الأنا" بمعزل عن "الغير"، فكل واحد منهما يكمل الآخر، لأن المجتمع الإنساني يتطلب ويفرض على الفرد دائما التعامل مع الغير.[2]

. وهكذا فإنّ الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) بحاجة إلى لقاء مع بعض وذلك من أجل الكشف والتعرف على الضعف الذي تعاني منه الشرق، وبالتالي الشرق تحاول الاندفاع إلى التغير، كما أنها تحاول الاستفادة من معارف وقدرات الغرب الأجنبي، فمعرفة "الأنا" لن تكون إلاّ عبر الاحتكاك والاندماج مع الغير (الغرب).[3]

. فالأنا الشرقية يجب عليها الاندماج مع الغرب لغرض التبادل الثقافي والتّعلم والتّحضر والتّعرف على كل الإنجازات والاختراعات التي وصل إليها العالم الغربي[4].

إنّ اللّقاء بين الشرق والغرب ولّد ما يسمى بالحوار الثقافي والحضاري، وبالتالي الغرب أنتج الكثير من النظريات والمناهج الأدبية والتطورات العلمية، فكل هذه الانجازات التي تزخر بها الثقافة الغربية استفادت منها الثقافة الشرقية وولد ما يسمى بالتفاعل والاندماج مع الآخر الغربي[5].

1- ينظر: ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 14.

2- ينظر: مرجع نفسه، ص 11.

3- ينظر: مرجع نفسه، ص 18.

4- ينظر: مرجع نفسه، ص 19.

5- ينظر: فايز صلاح عثمانة، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، مؤسسة الوراق، الأردن، 2014، ص 19.

فالإنسان العربي والمشرقي دائما يحاول السفر والهجرة وذلك لغرض تحقيق كل حاجياته وطموحاته، فهو يسافر إلى الغرب الأوروبي، باعتبار هذا الآخر يمتلك الخبرة وكل متطلبات الحياة وبالتالي حدث ما يسمى بالتفاعل والاندماج بين الغرب والشرق، فالتواصل واللقاء بين الحضارتين الشرقية والغربية وتبادل الأفكار والموضوعات ضروري من أجل التحضر والسير قدما[1].

يُعرف الشرق على أنه: «**مجموعة من الأقطار المنشورة في آسيا وبعض الأقطار في أفريقيا مما يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط، وبعض أجزاء من أوروبا الشرقية**»[2] نفهم من هذا التعريف أنّ الشرق يظم عدة بلدان.

وأما فيما يخص الغرب هي تلك الشعوب التي شاركت في الحروب الصليبية، والتي تعرف حاليًا باسم بريطانيا، هولندا، بلجيكا، فرنسا، ألمانيا، إسبانيا، والبرتغال[3].

فلقد كانت العلاقة بين الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) قائمة على الصراع والتصادم، وكل واحدة منها تريد فرض هيمنتها بمختلف الأساليب والأشكال، لكن سرعان ما تغير الوضع وذلك من خلال الجهود التي بذلها الغرب تجاه الشرق في محاولة إصلاح ذلك الخلاف والوضع ونتج ما يسمى بالحوار الحضاري بين الشرق والغرب[4].

فالإنسان بطبعه يجب عليه الاندماج والتواصل مع الآخر، فوجود "الأنا" يقتضي وجود الآخر فلا توجد "أنا" بدون "أنت" فهم فاعلون يشكلون العالم البشري، ولا يستطيع واحد منهما العيش بمفرده، بل يجب التكامل والإتحاد من أجل إحياء المجتمع البشري، فلا نستطيع تصور حياة الفرد دون وجود غيره[5].

---

1 - ينظر، المرجع نفسه، ص 188.

2-باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010، ص 146.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص 147.

4 – ينظر: المرجع نفسه، ص147.

5 – ينظر: فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، ط1، عمان، الأردن، 2011، ص33.

الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية فضاء يطرح فيه سؤال الهوية بشكل حاد، إنه يعبر عن ألم شعب أصابه استعمار عنيد ومدمر، هذا الأدب منخرط بعمق في حركة الحرية، وهكذا فإن الكتاب، بصفتهم "ضمير" المجتمع، لم يظلوا غير مبالين وبدأوا يفكرون لإعادة تعريف الهوية والانتماء الثقافي، ونتيجة لذلك، ظهر إنتاج أدبي كامل، يمكننا من خلاله طرح أسئلة حول الهوية، وبالتالي حول مستقبل الجزائري، حدد الكتاب لأنفسهم مهمة إيقاظ الضمائر المترددة لمواطنيهم. وإدراكًا منهم للدور الذي يمكن أن يلعبه الأدب في الحركة الوطنية، فهم أول من أظهر رفضهم بوضوح للقمع الاستعماري وأول من بادر في النضال لأجل قيام وبناء دولة قومية حديثة بعد الاستقلال.

الفصل الثاني

تمثلات الآخر في رواية "الأرض والدّم"

المبحث الأول:

1- التعريف بالرّاوي مولود فرعون

2- ملخص رواية الأرض والدّم

3- الإطار الزّماني و المكاني لرواية الأرض والدّم

المبحث الثاني:

1- شخصيات الرّواية

1.1-الشخصيات الرئيسية

2.1- الشخصيات الثانوية

3.1- الشخصيات العابرة

المبحث الثالث:

1- أبعاد الشخصية

1.1- البعد المادي

2.1-البعد الاجتماعي

3.1-البعد النّفسي

2- تمثلات الآخر في الرّواية

المبحث الأول:

1-التعريف بالراوي مولود فرعون:

ولد " مولود فرعون" في قرية تيزي هيبل يوم 18مارس1913م من عائلة فقيرة، التحق المدرسة الابتدائية في قرية ثاوريرت في سن السابعة فكان يقطع مسافة طويلة يوميا بين منزله ومدرسته سعيا على قدميه في ظروف صعبة، مثلا للطفل المكافح الذي يتحدى الصعاب المختلفة، ويصارع واقعه المؤلم الذي امتزج فيه الفقر بالحرمان والاستعمار، وبهذا الصراع استطاع التغلب على جميع الصعاب التي وقفت في وجهه، مما أهّله للظفر بمنحة دراسية للثانوية بتيزي وزو، ثمّ التحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة الجزائر العاصمة تخرج منها ليعود إلى قريته التي عيّن فيها مدرسا سنة 1935م، بدأ يتّسع عالمه الفكري، وأخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه، وانشغل بهموم الجزائر الوطنية، كتب باللغة الفرنسية رغم أنّه كان يشجع على تعليم وتعلم اللغة العربية، وكان يردّد "المستقبل في الجزائر للغة العربية ".

لقد اختلفت أعمال "مولود فرعون" بين الرواية والتأليف، كتابين أحدهما بعنوان "أيام قبائلية" (1954) يتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة، والآخر بعنوان "أشعار سي محند" (1960)، وله خمس روايات: "ابن الفقير" (1940)، "الأرض والدم" (1953)، الدروب الوعرة" (1957)، "رسائل إلى الأصدقاء" (1969)، "مدينة الورود" (2007).

اغتيل "فرعون" هو وعدد من زملائه في مقر عمله في أحد المراكز الاجتماعية في 15 مارس 1962، على يد "منظمة الجيش السري الفرنسية"[1].

1-نوال بن صالح:استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون،مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،العدد التاسع 2013،ص ص 395-396.

2- ملخص رواية الأرض والدم:

تعد رواية "الأرض والدم""**La terre et le sang**" ثاني رواية "لمولود فرعون" بعد روايته المشهورة "ابن الفقير"، ففي رواية الأرض والدم حلّل الكاتب موضوع التصادم بين الشرق والغرب، بين التقليد والتجديد وجوانب أخرى مختلفة، منها جانب الظروف المعيشية القاسية للجزائريين في فرنسا التي كتب عنها بمرارة، أراد فرعون في أواخر الخمسينات أن يكتب عن واقع الهجرة إلى أوروبا.

وتناولت رواية " الأرض والدم" أول مرحلة من عملية الهجرة من أجل العمل، فكانت الهجرة للتخلص من الوضع الشاق للعمال والفلاحين في المستعمرات، والتي قد تكاثفت في العشرية الأولى من ذلك القرن.

رأى "فرعون" أنّ المرحلة (1910م إلى 1930م) التي دار حولها الحديث في الرواية تميزت عن الفترة اللاحقة حتى الخمسينات بتحولات هائلة حدثت في تلك الفترة الزمنية التي رحلوا فيها إلى أوروبا.

عامر أو قاسي بطل الرواية كان قد غادر بلاد القبائل من أجل أن يحسن وضعه المعيشي، بحيث كان إقبال المغاربة آنذاك قوي نتيجة عدم توفر العمل، فكانت رغبة عامر قوية ليحقق حلمه للعمل دون أجر في إحدى المناجم الفرنسية، فرحل من قريته وقرر عدم العودة وأن ينسى كل شيء حتى والديه رغم أنه الابن الوحيد[1]، بعد الغربة الطويلة التي عاشها عامر قرر العودة إلى قريته ليجد والده قد فارق الحياة، أمّا أمه بعد فقدانها لزوجها وابنها عانت من الجوع والفقر والبرد لكنها تحملت بالرّغم من كل ما عاشته وعملت العديد من الأعمال البسيطة كي تسدّ رمقها.

عودة عامر المفاجئة وجد نفسه أماما تحديات كبيرة عليه الآن أن يدفع ثمن هجرته، خاصة أنه في أثناء الغربة قد تورط في قتل رابح بغير قصد، ليجد أهله بانتظاره، رغبة عمه سليمان أخ القتيل بالأخذ بالثأر.

قرر عامر أن يستقر في القبائل رفقة زوجته ماري الفرنسية فقد جلب معه كل ما وفره في فرنسا من أجل الاستقرار في هذا المكان الفقير، اشترى عامر جميع الأراضي التي بيعت من قبل والده ليضمن العيش الكريم.

عند عودته إلى قريته اكتشف ما يواجهه من تحدّيات فقد رفضه القرويين، غيرة الجيران منه خاصة من مكانته المرموقة، لم تكن عودته مقبولة لأنه عندما اغترب قطع كل الرّوابط بينه وبين أرضه وذلك كان صعبا ليتصالح معها، فقد أعتبر مجيء عامر إلى القرية كأنه انتهاك للحرمة، فجاء حاملا للأثاث الفرنسي وهو عالم غريب على القرية كأنه قام بالتعدي عليها، وكان أكبر انتهاك الذي قدمه عامر هو وزوجته ماري دون شك بالرّغم من أنّها ابنة رابح البيولوجية هذا ما لا يعرفه الجميع[2].

1- ينظر: سماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرنكوفونية-المغاربية، دار الأمل للنشر والتوزيع، ص60-61.

2- ينظر: نوال بن صالح، استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون، ص398.

« وفي ظلال هذه الأحداث نشأت قصة أو علاقة عاطفية مأسوية انتهت بالموت وهي علاقة عامر وزوجة سليمان، حيث فجّر سليمان المنجم للقضاء على عامر ويموت سليمان أيضا تحت صخرة كبيرة »[1].

تعتبر هذه الرّواية كما صرّح "فرعون" ليست كلّها من نسج خياله فبعض أحداثها مستمدة من الواقع، فقال "فرعون" أنه عرف سيدة وفدت من فرنسا إلى قريته في العشرينيات من القرن الماضي، فقدت زوجها لكنها قررت البقاء في القرية ومن هنا نشأت عند الكاتب فكرة كتابة هذه الرّواية[2].

1-نوال بن صالح، استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون، ص339.

2-ينظر: سليم بتقة، تمثلات الآخر في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي (الأرض والدّم) و(ريح السموم) –نموذجا–، (حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية رقم 6)، 2011..www.asgp.cerist.dz.

3 –الإطار الزماني والمكاني:

1.3– أهمية الزمن:

للزمن في الرواية أهمية فنية باعتباره عنصرا أساسيا في تشكيل البنية الروائية وتجسيد رؤيتها، فالزمن يؤثر في العناصر الروائية الأخرى (السرد، الشخصيات، المكان ...)، وينعكس عليها كذلك، لذلك ما يثير انتباهنا في الرواية هو الزمن وبروزه في كل محطاتها.

«**إن الزمن حقيقة مجردة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى، لذلك يعد الزمن بحركاته وانسيابه، وسرعته وبطئه هو الإيقاع النابض في الرواية، فالسرد زمن، والوصف زمن في بعض حالاته، والحوار زمن وتشكل الشخصية يتم عبر الزمن**»[1]، أي كل ما يحدث في الرواية شكلا ومضمونا، داخلا وخارجا يكون عبر الزمن، فهو يعد المحور الأساسي المميز للنص الروائي.

لقد ارتبط الزمن بالرواية في علاقة مزدوجة لأن النص الروائي يشكل في جوهره بؤرة زمنية تنطلق في اتجاهات عدة، «**فالرواية تصاغ داخل الزمن، والزمن يصاغ في داخل الرواية**»[2]، أي أن كلا منهما الزمن والرواية يرتبط وجوده بوجود الآخر، فالعلاقة انسجامية.

2.3– أهمية المكان:

«**يمثل المكان عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها خيال الكاتب في بناء روايته، فمن اللحظة الأولى يسمع فيها نص الرواية ثم ينتقل إلى عالم خيالي من صنع الكاتب الذي يتواجد فيه القارئ**»[3]، أي أن الراوي له تجربة شعورية يجسدها عبر الأماكن الموفرة له ويتخيلها، لذلك يغوص القارئ مع تجربة الراوي ويكون متواجدا فيه.

فالمكان في الرواية ليس بناءا معماريا أو شكلا هندسيا أو ديكورا إنما المكان في الفن عند (باشلار) «**ليس المكان هندسيا خاضعا لقياسات وتقسيم مساحة الأراضي، بل هو المكان الذي عاشه الأديب كتجربة والمكان لا يعاش على شكل صور فحسب، بل يعيش في داخل جهازنا العصبي لمجموعة**

1- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، (دط)، ص74.

من ردود الفعل»[1]، فالمكان هو الذي يجسد الحدث الذي يجري في الرواية، ويوحي للقارئ حيزا يتخيل الرواية وأماكنها وزمانها وشخصياتها، فالمكان له أهمية بارزة في بناء الرواية وشكلها.

«**والمكان لاقيمة له في حد ذاته مالم يرتبط بالزمان والرواية من جهة شبيهة في جانبها المكاني بالفنون التشكيلية من رسم ونحت، إذ أن المساحة التي تجري فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض وتلك التي تفصل القارئ عن عالم تقوم بدور هام في تنظيم وترتيب النص الروائي**»[2].

3.3- دراسة الزمان في الرواية

1.3.3- أنواع الزمن:

الزمن مهم في الرواية، حيث يمكن تحديد الفترات الزمنية المتعاقبة أو المتداخلة، ومن أنواع الزمن نجدها كثيرة ومتعددة منها:

يرى "تودورف" أن الزمن "**يتمثل في زمن الكتابة، وزمن القراءة الأول يصبح زمنا أدبيا عندما لا يتم الحديث عنه داخل القصة المسرودة ويتدخل الراوي لينقل لنا مشاغله، ومعاناته في الكتابة، أما الزمن الثاني فيتحدد بالمدة الزمنية التي ستعرفها قراءة النص الروائي**" [3].

الزمن الأدبي: «**إن الزمن الأدبي يتخلل الزمن الروائي، لأن الرواية فن زمني، أو عمل لغوي يجري ويمتد داخل الزمن، والزمن الأدبي غير الزمن الفلسفي أو النحوي أو الرياضي، فهو زمن متسلط شفاف متولج في أشد الأشياء صلابة**»[4].

والزمن الخارجي: هو زمن موضوعي مرتبط بالزمن التاريخي، وما يحويه من موضوعات اجتماعية، فهو يبقي عند طرفي الرواية عند البداية والنهاية، وبمعنى أدق هو توقيت قياسي للأحداث التي تجري في الآنية لذا تروى بصيغة الحاضر، ليس بالماضي أو المستقبل.

1- رابح لطرش، بناء الرواية الجزائرية العربية (الزمان، المكان، المنظور)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير، جامعة عين شمس، مصر1991، ص155.

2- مرجع نفسه، ص 158.

3-عمر عيلان، محاضرات بعنوان توقيت الرواية ودلالية الزمن الإنساني والنص في رواية بان الصبح، لعبد الحميد بن هدوقة، الملتقى الوطني الثاني في أدب بن هدوقة، ص 70.

4 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية رفاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، ص 288.

وهي بذلك تشكل الإطار الخارجي للرواية، وبداية رواية الأرض والدم، كانت عبارة عن مونولوج (حوار داخلي مليء بالتساؤلات، مثل ماجاء فيها «**بعد كل هذا تحتاج كل هذا العناء، وأن تبلغ حد أن أقتل أو أقتل المهم أن يبقى الأمر سريا، ويصير مستريحا**»[1].

ويتضح الزمن في النص الروائي، وتداخله مع أزمنة خارجية في رواية الأرض والدم، فتلمسه كل من:

زمن الأحداث	زمن الكاتب	زمن القارئ

فحينما تضع حكيا للرواية معناه أن تمثل له زمنيا، وهذا يندمج في زمن آخر، وهذا الأخير يتمثل زمنا ثالثا لعله زمن التلقي.

والكاتب يستعمل عدة وسائل فنية متنوعة عند قياسه للزمن الروائي كالانتقال من مشهد، فهذا يتطلب تقنيات وخبرة الكاتب خاصة عندما يربط المشاهد بعضها ببعض.

- ترتيب الأحداث:

كان القاص في القديم يقدم أحداث الحكي أو القصة بشكل متسلسل مترابط زمنيا، يسير في خط واحد لا ينحرف عنه حتى النهاية، معتمدا في ذلك على التسلسل الزمني (الماضي، الحاضر، المستقبل).

فالزمن الماضي: هو زمن الأحداث التي وقعت في زمن مضى، سواء كان قريبا أو بعيدا.

الزمن الحاضر: هو الزمن الحاضر، الآني للرواية.

أما زمن المستقبل: «**هو زمن التنبؤات والتوقعات، فيتم الحديث عنه كما سيحدث، أو ما سيقع في وقت آت، ولكن هذا النظام الخطي، يقطع ويلتوي فيسير أحيانا إلى الخلف وأحيانا إلى الأمام، وذلك لظهور الشخصيات في الرواية**»[2].

1- مولود فرعون، الأرض والدم ،ص 60.

2- سيزا قاسم، بناء الرواية، مرجع سابق، ص37.

والتسلسل الزمني لا يطابق بأي شكل من الأشكال تسلسل الجمل في النص الروائي، فيقوم ببلبلة المرجع الزمني في القصة، وهو ما يمنحها الصبغة الفنية فتذبذب الأزمنة تذبذبا متداولا في كل لحظة من لحظات النص أي من الحاضر إلى الماضي إلى المستقبل.

وتقوم دراسة الترتيب الزمني للنص القصصي، على المقارنة بين ترتيب الأحداث في النص القصصي، وترتيب تتابع هذه الأحداث في الحكاية، وهذا النوع من التحليل مفيدا جدا، خاصة إن وقع تطبيقه على الرواية المعاصرة التي يبلبل فيها المؤلف عن قصد المرجع الزمني منظما نصه القصصي لا حسب تسلسل أحداث الحكاية، بل بالاعتماد على تصور جمالي أو مذهبي يجعله يتصرف في تنظيم هذه الأحداث نطاق نصه القصصي[1].

ويرى جيرار جينات أن «**تغير تسلسل الزمن في الرواية هو وضع حادثة في غير موضعها بتقديمها بحادثة سواء بتأخيرها عنها لما عليه الحال في التسلسل الطبيعي للأحداث**»[2].

ويمكن أن «**نميز نوعين من التنافر الزمني فقد يتابع الراوي تسلسل الأحداث طبقا لترتيبها في الحكاية ثم يتوقف راجعا إلى الماضي، ليذكر أحداثا سابقة التي بلغها في سرده، كما يمكن كذلك أن تطابق هذا التوقف نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغه السرد بعد**»[3].

والتذبذب الزمني قد نجده في الفقرة الواحدة من النص الروائي، أو يتخلل النص من البداية، إلى النهاية ونمثل ذلك بفقرة من النص، ثم بالجدول الذي نمثل به تداخل العناصر الزمانية: «**لاحظ عامر أوقاسي هذه التغيرات بحبور حقيقي منذ اليوم الموالي... وارتبط بواسطة جملة من العلاقات السرية في شبكتها علاقات عملت على إحياء ذكريات بتفاصيل محددة... طفقت معاينات أخرى تتدفق على ذهنه. يتحتم عليه قريبا أن يتصرف مثل ذويه، لأنهم سوف يحكمون عليه من خلال إنجازاته إن وضعه كقادم جديد سيدوم مدة دوام الأعراس**»[4].

1- ينظر: المرزوقي سمير، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، ص37.

2- السيد ابراهيم، نظرية الرواية، دراسة المنهج النقدي الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر، ص107.

3- المرزوقي سمير، مدخل إلى نظرية القصة المرجع السابق، ص80.

4- مولود فرعون، الأرض والدم، ص11.

2.3.3- تداخل الزمن:

الأزمنة	التسلسل الزمني	ترتيب الأحداث في النص	الصفحة
الماضي	. لاحظ عامر أوقاسي هذه التغيرات (1) بحبور دقيقي.	(**1**)	ص11
	- ارتبط بواسطة جملة من العلاقات السرية في شبكتها .	(**4**)	ص11
	-علاقات عملت على إحياء ذكريات تفاصيل محددة.	(**5**)	ص11
الحاضر	-تتدفق على ذهنه.	(**15**)	**ص11**
	-يتحتم عليه تقريبا أن ينصرف مثل ذويه.	(**16**)	**ص11**
المستقبل	-لأنهم سوف يحكمون عليه من خلال انجازاته.	(**17**)	**ص11**
	-إن وضعه كقادم جديد سيدوم مدة دوام الأعراس.	(**19**)	**ص11**

الفقرة الثانية من النص:

« ركض دون أن ينظر إلى الخلف، وكأنه يريد أن يخفي حياءه... وشعر عامر من ناحيته بالذنب، وبحاجة إلى من يصفح ويعفو عنه... ولا يتنكر ابن أخته، وعلى عامر من جهته أن يتقرب منه بكل ما في وسعه، وإلا فسوف تبدي له الأيام ماهو جاهل لن أهاجمه ولكنني سوف أدافع عن نفسي...كانوا سيقدرون صنيعة ذاك... لقد رضي على نفسه هو كذلك»[1].

جدول تداخل الزمن:

الأزمنة	التسلسل الزمني	ترتيب الأحداث في النص	الصفحة
الماضي	- ركض دون أن ينظر إلى الخلق.	(1)	ص135
	- شعر عامر من ناحيته بالذنب.	(05)	ص135
	لقد رضي على نفسه هو كذلك.	(23)	ص135
الحاضر	هو بحاجة إلى من يصفح ويعفو عنه.	(6)	ص135
	- ولا يتنكر ابن أخته.	(14)	ص135
	- وعلى عامر من جهته أن يقترب منه بكل ما في وسعه.	(15)	ص135

1- الرواية، ص 135.

الزمن	التسلسل الزمني	ترتيب الأحداث	الصفحة
المستقبل	- وإلا سوف تبدي له الأيام ماهو جاهل.	(16)	ص135
	- لن أهاجمه ولكني سوف أدافع على نفسي.	(17)	ص135
	-كانوا سيقدرون صنيعة ذاك.		ص135

والملاحظة هنا من خلال الجدول أن "مولود فرعون" قد اعتمد في الفقرة الواحدة لزمن الحاضر والماضي والمستقبل، والمؤكد هنا أنها متداخلة ومتذبذبة وليست على تسلسل واحد، أي أن الماضي قد يتأخر ويسبقه المستقبل إلى غير ذلك، وهذا التداخل مرتب به الرواية ككل، وكأنها حركة ارتدادية يغوص فيها القارئ في اللاوعي.

ونعطي كذلك أمثلة لتداخل الأزمنة في الرواية التي تمثل تذبذب الزمن وهي كالآتي:

- الماضي:

* «**وتعودت أن لا تأكل حتى تجوع**»[1].
* «**وهن اللواتي نصحناها بكيفيات المحافظة على الزواج القبائلي**»[2].
* «**ارتدت السيدة جوارب فاتحة**»[3].
* «**غضبت مادام غضبا كبيرا**»[4].

والملاحظة هنا في الزمن الماضي أن التداخل جلي وواضح والتذبذب بينه وبين الأزمنة الأخرى -الحاضر والمستقبل - والتقديم والتأخير بينهم، وعليه فإن الزمن في الرواية لم يتبع تسلسلا واحدا بل كان أحيانا ماضيا وأحيانا حاضرا وأحيانا أخرى مستقبلا، وهذا الامتزاج والتداخل له دلالة فنية وجمالية في تطور أحداث الرواية.

- الحاضر:

* «**ويرتفع ويرتفع مضيئا كل شيء**»[5] .

1- الرواية، ص30.
2- الرواية، ص115.
3- الرواية، ص51.
4- الرواية، ص286.
5- الرواية، ص229.

* «**يتصور سليمان النتيجة دون أن ينسب ببنت شفة**»[1].
* «**وهم أول من يتلقى التعازي ويتظاهر بالحزن كلما قدمت جماعة جديدة**»[2].
* «**ولم تكن تطيق بعض النساء اللواتي تقال عنهن الأقاويل**»[3].

– أما تداخل زمن المستقبل فجاء في الرواية:

* «**ستذهب هذا الصباح إلى المحجر**»[4].
* «**سأبين لك عنوانها**»[5] .
* «**وسوف يتركونه وحده يواجه انتقامه**»[6].
* «**وسوف يتحججون بجمع الأعذار**»[7].
* «**الفضيحة سوف تنفجر**»[8].

ومن خلال هذه الأمثلة نلاحظ أن الزمان فرض نفسه من خلال التداخل، والتذبذب أصبح صعبا تحديده والإشارة إليه بحكم التذبذب داخل الرواية.

4.3– دراسة المكان في الرواية:

1.4.3– وصف المكان:

1.1.4.3– المقاطع الوصفية في الرواية:

لا ريب في أن الكاتب في روايته، قد استعمل تقنية خاصة في وصف المكان، ليجعلنا نقترب من بلاد القبائل وما تحمله من أبعاد في نفسية الشخصيات، فقد لجأ إلى تقنية الوصف الذي يرتبط غالبا بالفضاءات والأمكنة، فمعظم الأمكنة في هذه الرواية تتعلق كثيرا بالشخصية، «**وهذا التعلق يسمح للمكان بأن يكون مرآة لطباع الشخصيات التي يعكس حقيقتها، فحياة الإنسان تفسرها طبيعة المكان الذي ترتبط به**»[9].

1- الرواية، ص160.
2- الرواية، ص 318.
3- الرواية، ص 255.
4- الرواية، ص307.
5- الروالية، ص 90.
6-7-الرواية، ص 100.
8- الرواية، ص 257.
9- سيزا قاسم، بناء الرواية،مرجع سابق، ص84.

اعتمد "مولود فرعون" في نسج الرواية على أماكن متخيلة وأخرى مختارة من الواقع تتمثل (إيغيل نزمان، تمازيغت، تيغزران، تازروت)، فيمكن القول أنه اعتمد على واقعية المكان أكثر من تخيلها ومن الأمكنة الموجودة في الرواية نذكر:

– إيغيل نزمان:

يقول "مولود فرعون": «**زاوية تفضي إليها طريق جبلية ملتوية إنها قرية بها مدرسة صغيرة، وعدد من المنازل بطابق واحد، ومسجد أبيض اللون يلوح من بعيد**»[1]، إن الراوي في بداية الرواية وصف لنا "إغيل نزمان"، هذا المكان القبائلي مكان مبتذل ومتواضع، وكأنه يريد أن يكون القارئ على دراية مسبقة.

ويقول أيضا: «**إن أقدم بيوت إيغيل نزمان التي يظهر أنها تحمل ثقل القرون بقرميدها المسود، وأوصالها الميلاطية المفككة وسقوفها القرميدية المعوجة التي توشك على الانهيار**»[2].

نجد الراوي وصف اغيل نزمان وصفا مفصلا، كيفية البناء وقدمه فنجد هذا الاسم يحمل دلالة فنية ودلالة تاريخية، يهدف من خلالهما الكاتب إلى التعبير عن البعد التاريخي والحضاري الذين تتميز بهما الجزائر وإذا حللناه نجده: "إيغيل" تعني الجبل أي المكان المرتفع، وهو رمز للمكانة التي كانت تحتلها الجزائر قبل الاحتلال و"نزمان" يدل على البعد التاريخي والحضاري التي امتدت جذوره في تاريخ الجزائر.

ولم يكتف الكاتب بذكر أسماء الأماكن المعروفة في الواقع، بل لجأ إلى توظيف الرموز الثقافية والاجتماعية للدلالة على المكان الذي تدور فيه الأحداث كتوظيف: تاجماعت، تمازيغت، تازروت ... .

فيقول: «**ماذا يستطيع الابن الضال أن يفعل لأبيه النائم في المقبرة الصغيرة بتازروت؟ هل سيزوره في صباح اليوم الموالي مباشرة؟ على كل حال الفكرة من اقتراح أمه، ما هو إلا واجب سيؤديه سيراه الجميع متوجها نحو المقبرة**»[3].

"فتازروت" هذا المكان الذي توجد فيه المقبرة يعني الصخرة الصغيرة، فرمز بهذا المكان إلى المقبرة التي تقع في مدخل القرية.

فقد وردت هذه اللفظة في الرواية لإظهار بعض العادات والتقاليد المتداولة التي تتمثل في زيارة الموتى

1- مولود فرعون، الأرض والدم،مرجع سابق، ص3.

2- الرواية، ص 10.

3 – الرواية، ص 16.

وتشييع الجنائز، وكذلك يبين أنه هناك في الرواية شخصيات تعرف الأصول وتحترمها، فكل هذه المفاهيم والرموز تعبر عن مكان الحدث والفعل، ولها دور بارز في تحديد واقعية الرواية.

– القرية:

«تتكون القرية من مجموعة منازل، والمنازل تتشكل من ركام أحجار وتراب وخشب، لا تكاد تصدق أن يكون الرجل البناء قد تدخل فعلا في تشييدها»[1].

رسم لنا الكاتب في الرواية شكل القرية مفصلا، فبوصفه هذا للقرية أراد أن يقول أنها لم يكن هناك فيها عبقرية وذكاء، أي أن الشخصية التي تعيش هنا لم تحاول تغيير واقعنا، فهندسة مكان القرية هي التي توحي بغياب التقدم والحضارة.

ويقول أيضا: «**ينبغي أن نتعرف من الآن أن القرية بشعة جدا أكيد أننا نتخيلها جاثمة فوق هضبة كالطاغية البيضاء، تحدوها دائرة من الخضرة، تتلوى الطريق على مضض قبل أن تصل إليها**»[2].

يقر لنا الكاتب ببشاعة القرية فوصفها بصورة مدققة، ووصف كذلك، هندستها، فالناظر إلى هذه القرية يتأكد لقبحها، وأن الإنسان الذي يعيش فيها لم يحاول فيها قط أن يبتكر الجديد.

– فرنسا:

يقول الكاتب: «**التي كانت تعرف بساتين العاصمة الفرنسية والتي قضت طفولتها بضواحيها لا تجعل الفتنة الساحرة للفصل الجميل: العصافير والأزهار والاخضرار ... ومع ذلك فإن جميع عصافير فرنسا متشابهة، وتيجان أزهارها ذات ألوان زاهية من الأشجار المشذبة هندسيا، ومن مربعات البقول المزروعة بعناية، وغابتها كثيفة مرصعة بطرق مزفتة**»[3].

يصف "مولود فرعون" فرنسا وما تملكه من حداثة وحضارة، حتى أنه يصف طبيعتها الخلابة التي توحي بالتقدم، وكأنه يقول أن البيوت الجديدة تحاكي البيوت القديمة في شكلها الخارجي وتقسيماتها الداخلية، فيمكن القول أنه عقد مقارنة بين بلاد القبائل وفرنسا، وبيّن من خلال الوصف المكاني إنسان الحضارة ليس كالإنسان التقليدي.

1- الرواية، ص 9.

2- الرواية، ص 3.

3- الرواية، ص 48.

2.1.4.3- الألوان في المقاطع الوصفية:

لقد جاء ذكر الألوان في مقاطع وصفية عديدة، فاللون كذلك يدل على البيئة التي تعيش فيها الشخصية، ومن بينها التي ورد ذكر الألوان فيها مايلي:

«**ومسجد أبيض اللون يلوح من بعيد ... وتحدها دائرة من الخضرة**»[1]، جاء في هذا المقطع في بداية الرواية يصف المسجد باللون الأبيض دلالة على الطهارة والطهر، فالأبيض عكس الأسود، أما اللون الأخضر فدلالة عن الحياة في الكون أو في هذا المكان "إيغيل نزمان" فكل ما هو أخضر في المكان يصف لنا نبض الحياة والانشراح لذلك المكان.

«**أن هذه السواقي الموحلة الزرقاء المتسربة من المنازل**»[2]، وصف لنا الكاتب السواقي أو مكان السواقي باللون الأزرق الذي هو تعبير عن الذات بالشعور بهذا المكان.

«**إنها سمراء مشربة بحمرة... وعيناها السوداوان الكبيرتان... وجفناها الحمراوان العاريان**»[3]، اللون الغالب في هذا المقطع هو الأحمر، وهذا اللون يقوي روح الانتماء للمكان، ويمكن أن نقول أن اللون الأحمر كذلك يدل على عدم الانتماء لهذا المكان والشعور بالوحدة فيه، «**هيكلا جديدا مطليا بالطلاء الفضي**»[4]، هذا المقطع يدل على التواضع والاحترام لهذا المكان، وكذلك الاحترام.

«**إنها جبال عملاقة جبارة جرداء ذات بياض رمادي باهت... رغم حلول شهر أفريل هذا بسمائه الزرقاء**»[5]، نقول أن الجبال من الأماكن الجغرافية أو المظاهر الجغرافية التي لها دلالة فنية وجمالية في الرواية.

«**هذه السماء الزرقاء...؟ أم قرى البأس هذه يمتاز لها البياض المنغرسة في الصلصال الأحمر كأنها قواقع حلزونية في الطمي**»[6].

1- الرواية، ص 5.
2- الرواية، ص 7.
3- الرواية، ص 8.
4- الرواية، ص 33.
5- الرواية، ص 49.
6- الرواية، ص 161.

3.1.4.3- اللباس في المقاطع الوصفية:

اللباس هو بشكل أو بآخر يعكس البيئة للشخصية وملامحها، فلباس الريف غير لباس المدينة، فاللباس يختلف من بيئة إلى أخرى أو من مكان لآخر، ولباس المثقف غير لباس الغير مثقف، وفي رواية "الأرض والدم" ذكر بعض الأنواع من اللباس الذي ترتديه الشخصية، ومن المقاطع الوصفية ما يلي:

«**الذي يلبس سترة جلدية وعلى رأسه شاشية مثلهم**»[1].

يوضح لنا هذا المقطع أن مثل هذا اللباس يفسر لنا بيئة المدينة وثقافتها.

«**هذا الكوم العجيب من (القندورات) الشاحبة المختلطة**»[2].

نلاحظ هذا المقطع أنه يصف لنا بيئة الريف وطريقة اللباس التي من خلالها نعرف مستوى البيئة.

«**فاندست فيها خاضعة وكأنها داخل كومة ملابس الغسيل المتسخة**»[3].

هذا المقطع له دلالة على وصف القرية وبيئتها، لأنها تعكس ببروز البيئة وذلك من خلال الوصف المدقق الذي اعتمد عليه الرواي.

ويقول كذلك: «**التي تختفي بداخل المعاطف المتسخة والستر الرثة**»[4].

«**ووجدت والدتك في المسكنة بينما قدمت ترتدي بدلة جميلة**»[5].

إن البيئة أكيد أنها تختلف من مكان لآخر، فالشخصية التي تعيش في الرفاهية، لا يمكن أن تتعود على الحياة المتواضعة، والشخصية التي تعيش في بيئة ومكان مثقف لا يتأقلم مع المجتمع الغير مثقف.

«**وقندورته التي من التيسور وبرنوسه النظيف**»[6].

والملاحظ أن اللباس لديه خاصية في التفريق بين البيئات أو الأماكن التي تعيش فيها الشخصية.

4.1.4.3 المأكل والمشرب:

فالمأكل والمشرب يعبر عن الطبقة الاجتماعية، وطريقة معيشتها في البيئة والمكان ،ومن المقاطع الوصفية التي ذكر فيها الأكل والشراب للدلالة على المكان هي:

1- الرواية، ص 4.

2- الرواية، ص 7.

3- الرواية، ص 9.

4- الرواية، ص 12.

5- الرواية، ص 45.

6- الرواية، ص209.

«قطعة من الكبد التي لا يجب أن ينسى شراءها وكيلو السكر الذي تنتظرها العجوز»[1].

«وكذلك الخبز الذي يبيعه أحد خبازي المدينة»[2].

هنا في هذين المقطعين نلاحظ أن البيئة المشار إليها أو التي وصفها الكاتب هي بيئة ريفية أرادت التمدن، أي أن الشخصية التي تكون ريفية قد لا تعجبها طريقة الأكل القروية، لذلك تريد التغيير.

«ويبعثون لها صحنا من الكسكسي مع قطعة من اللحم»[3].

«صاحبة البيت ترمي منديلا فوق الجفنة المملوءة بالفطائر»[4].

«ويأكل أفراد القرية كلهم الكسكسي واللحم يوم الجمعة القادم»[5].

«ومادام تنظره لتقدم له الكسكسي»[6].

خلال هذا نلاحظ أن الديكور يعتمد أساسا على الوصف وأصبح يشكل موقفا فكريا وتعبيرا عن رؤية ما وبالتالي فإن العناصر التي تشكل المكان ما هي إلا علامة إيجابية، تتضمن فكرة موجودة في نص القارئ.

والرواية يسيطر فيها مكان القرية "إيغيل نزمان"، فتتقلص المسافة والحدود بين الشخصيات، سيما أن الشخصيات من الطبقة الاجتماعية والثقافية والفكرية الواحدة.

يتوزع المكان في الرواية في فضاءات تحددها كالآتي:

- فضاءات مفتوحة:

- فضاء "إيغيل نزمان": **«زاوية تفضي إليها طريق جبلية ملتوية إنها قرية بها مدرسة صغيرة، وعدد من المنازل بطابق واحد...»**[7].

إنّ "إيغيل نزمان" كانت من الفضاءات المفتوحة التي صورت لنا شخصيات واقع اجتماعي بمختلف بيئاته.

1- الرواية، ص 21.

2- الرواية، ص 22.

3- الرواية، ص 29.

4- الرواية، ص 31.

5- الرواية، ص 181.

6- الرواية، ص 237.

7- الرواية، ص 3.

- فضاء "فرنسا": «**وباريستنا التي كانت تعرف بساتين العاصمة الفرنسية، والتي قضت طفولتها بضواحيها لا تجهل الفتنة الساحرة للفصل الجميل**»[1]، يمكن القول أن فضاء فرنسا هو المكان للهروب والاستقرار والحب.

- فضاء باريس: «**وتحررت فرنسا، فعاد مع الآخرين إلى باريس وكان سعيدا لبقائه حيا، وتصور أنه بإمكانه أن يستعيد فرحته مثل سنوات المراهقة**»[2]، الذي لا يقل على فرنسا أهمية، ومكانا للسلام والاستقرار .

- فضاءات مغلقة:

- المدرسة: «**كان وقتها شابا يافعا قضى بضع سنوات في المدرسة ويعرف بتفانيه في العمل**»[3]، المدرسة من الفضاءات المغلقة وهو مكان للدّراسة والتعلم.

- السجن: «**وألقي القبض عليه مثله مثل كثير من مواطنيه، وسجن بألمانيا بصفة سجين حرب، وعرف هناك العديد من المحتشدات والأعمال الشاقة، والضربات الموجعة...**»[4]، السجن هو من الأماكن التي لها خصوصية الكبت والقهر.

- الغرفة: هو مكان غير ثابت بل من الأماكن المتحركة في الرواية وهو مكان يملك خصوصية الراحة والآنسة والألفة وهو من الأماكن التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ويمنح كذلك الماضي والحاضر والمستقبل.

- المقهى: (القاعة) «**وهو أول مقهى في القرية، شيده علي على ضفة الطريق بمدخل إيغيل نزمان ... ولم يحدث أن صدّوا ضيفا، يشهد البهو عن كميات الكسكسي التي استهلكت فيه وتناثرت وكميات القهوة التي احتسيت في أرجائه! ففي تلك الفطرة كان جميع الغرباء العابرين لسبب أو آخر، والمضطرين بقضاء ليلهم...**»[5]، والملاحظة هنا أن فضاء القاعة من الأماكن الغير ثابتة بل متحركة، فهو مكان عام للتجمع الشعبي، وقيمتها الجمالية المكانية في الحركة والحديث وما يحدث خارجها وينعكس عليها. ولما كانت الرواية عبارة عن مغامرة على مستوى زمن الواقع فإن بالإمكان أن يبرز نوعين أساسيين من الأمكنة، فالرواية أعطت المكان بعدًا آخر غير البعد المكاني الذي نعرفه، فلم يعد المكان مجرد ديكور تزييني يتضمن أثاث، بل أصبح يعطي دلالات تتعدى المحسوسات المرئية إلى رؤى فكرة.

1- الرواية، ص 48.
2- الرواية، ص 82.
3- الرواية، ص 15.
4- الرواية، ص 81.
5- الرواية، ص 80.

2.4.3- علاقة المكان بالشخصيات:

وتحدد علاقة المكان بالشخصيات في رواية "الأرض والدم" من خلال منظورين "إيغيل نزمان" مكان للكره:

«**يحدث لعامر أحيانا أن يفكر في قريته، فإنه يتخيلها كنقطة صغيرة لاقيمة لها بعيدة أبعد من الآفاق الساطعة، زواية متوحشة ومظلمة ومتسخة يختفي بها أشخاص يعرفهم ويرثي لحالهم، ويزيد الخيال في قبحهم إلى حد يصيرهم مسخرة**»[1].

نلاحظ أن المكان أصبح نفورا مطلقا من قبل الشخصية وذلك لقبحه فالمكان حمل دلالة الكره للتفكير أنه نقطة سوداء ومكان مظلم في عقل الشخصية، وكذلك هذا النفور من هذه البيئة عائدا إلى الأيام الحالكة التي عاشتها الشخصية في هذه البيئة.

«**ظهر لها هذا المجتمع غير معقول ولا يتصور ومتخلف والخلاصة رجاله يستبعدون النساء لا يعطوهنَّ أي مكانة**»[2]، قد تكون الحرية للشخصية وانعدامها كذلك تولد الكره للمكان، والعادات المتوارثة هناك كذلك تؤثر في نفسية الشخصية، ويصبح النظر للمكان نظرة قبح وسخرية لا نظرة الإنسان المحب لبلاده.

ويقول أيضا: «**إن أقدم بيوت إيغيل نزمان التي يظهر أنها تحمل ثقل القرون بقرميدها المسودة، وأوصالها الميلاطية وسقوفها القرميدية المعوجة التي توشك على الانهيار**»[3].

"إيغيل نزمان" مكان الحب: إن إيغيل نزمان رغم كل ماتحمله من تناقضات، ورغم فضائها الممزق، وسلبياتها، تبقى مكانا يحمل في طياته أبعادا جميلة، فقرية "إيغيل نزمان" بالنسبة لشخصية عامر كانت تمثل الحنين إلى الأهل والأرض والبحث عن الحب الضائع، والشعور بالانتماء المتجدر بوطئته عندما كان في المهجر، إذن إيغيل نزمان هي صورة البلد، بل البلد نفسه، «**وأخيرا الحنين المبهم الذي جعل عامر يغادر فرنسا ويستجيب للنداء الملح "الأرض"، كما كانت له أهمية كبيرة وسط الجميع في إيغيل نزمان**»[4].

ومن خلال الدراسة لمكان الرواية نستخلص أن:

- المكان عنصر أساسي وهام في بناء الرواية.

1- الرواية، ص 14.

2- الرواية، ص 115.

3- الرواية، ص 10.

4- الرواية، ص 115.

– المكان هو مسرح الأحداث، وهو الأكثر بلورة للايدولوجيا التي تحمل الشخصية المعبر عن سلوكها وصفاتها.

–كثيرا ما ينهض المكان مع العلاقة الحميمية مع البطل، ويصبح وعي البطل بالمكان جزء من ذاكرته.

– كان المكان عند "مولود فرعون" يتخذ صورة اللهو والعبث والهروب من الواقع، فتنطلق الأحداث من "إيغيل نزمان" وتعود إليها.

– لعب المكان دورا هاما في الإفصاح عن الواقعية عندما كان يختار أسماء حقيقية للمدن والأحياء.

– يحمل المكان أبعاد نفسية واجتماعية لا تنفصل عن شخصيات الرواية وأحداثها، والملاحظ كذلك في الرواية أن الكاتب "مولود فرعون" جسد المكان تجسيدا مفصلا من خلال الوصف المفصل.

المبحث الثاني: شخصيات الرواية

1-الشخصيات الرئيسية: وهي الشخصيات التي تتمحور حولها الأحداث في الحكي «**تشكل المادة الرئيسية للرواية، حيث يتواتر ذكرها من بدايتها إلى نهايتها**»[1]، وفي هذه الرواية نجد ثلاث شخصيات رئيسية وهي كالتالي:

عامر: يمثل الشخصية المحورية في هذه الرّواية فهي مشاركة وفعّالة في مجرى الأحداث، «**لقد خيب آمال والديه بهجرته إلى فرنسا ومكوثه هناك، حيث كانا يطمحان أن يكون سندا لهما في شيخوختهما ولكن زاد على شقائهما، بعد أن وضع عامر قدميه في فرنسا اهتم بشؤونه الخاصة وكفى** ....»[2]. هاجر إلى فرنسا وهو صغير مع مجموعة من شبّان قريته، من أجل العمل في المنجم، لكنه لم يتمكّن في السنة الأولى فعمل كطباخ لهم، وبعد سنة انظم إلى المنجم بفضل عمه "رابح أوحموش". والشيء الذي لم يضعه في الحسبان هو أن يتهم بقتل هذا الأخير، مما جعل الجميع ينظرون إليه نظرة سيئة، حتى أهل قريته سمعوا بالإشاعة، ولقد عزم أخو القتيل على الثأر من "عامر" ومن هنا توالت أحداث كثيرة على "عامر" أثرت على نظرته إلى الحياة فلم تستقر حياته على حال وتوصل إلى خلاصة مفادها أنّ الحياة كلها عبث وليست سوى رفسات متتالية، مما جعله يشعر بحنين مبهم إلى وطنه ولوالديه الذي كان يحسّ اتجاههما بتأنيب الضمير لتفريطه فيهما. كما قرّر الزواج "بماري" الابنة الغير الشرعية لعمه المقتول، وبمجرد وصوله إلى قريته، وجد نفسه أمام أمر الواقع ليواجه عمه "سليمان" فيما يتعلق بعملية ثأره، لكن زوجة هذا الأخير وصهره أصلحا بينهما، ولكن الأوضاع ستتأزم بوقوع "عامر" بحب الزوجة مما جعل مسألة الثأر لابد منها.

ماري: تمثل الشخصية الرئيسية الثانية في الرواية، وهي زوجة عامر، وباريسية الأصل، «**كيف نتصور أنّ فرنسية من باريس يمكنها أن تعيش حبيسة قرية إغيل نزمان؟**»[3]، عرفت الكثير من المعاناة بسبب طلاق والديها، وزواج أمها من رجل لا تطيقه، فعرفت الظلم والقهر كذلك من طرف رب عملها الذي كان يهددها بالطرد في كل لحظة، والنتيجة أنّها وجدت نفسها وحيدة وفقيرة، ولكن مجرى حياتها تغير منذ أن تزوجت بعامر، وعزمت المجيء مع عامر إلى الجزائر، وهذا ما زاد من احتقار أهل القرية لعامر الذين يرون بأنه ابن ضال، ولكن مع مرور الوقت اعتادوا عليها، كما اندمجت هي الأخرى بينهم واعتادت، وتأقلمت مع مجتمعها الجديد.

1- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، دار عالم الكتب، ط1، 2002م، ص80.

2-الرواية، ص 52.

3-الرواية، ص 03.

جعلت عمها سليمان الذي عزم الثأر من "عامر" يتسامح معه، خصوصا عندما علم بأنها ابنة أخيه المغدور، فتيقن بأنّ دمه رجع إلى "إيغيل نزمان" عبر ابنته "ماري"، كما أن "ماري" استلطفت كثيرا زوجة "سليمان" التي كانت كثيرة التردّد على منزلها، وتغافلت ماري عليها وعلى زوجها الذين كانا يتبادلان الحديث والمزاح بحضورها، وهذا ما ساعد على نشوء علاقة غرامية بينهما.

كمومة: وهي الشخصية الرئيسية الثالثة، وهي شخصية ورد ذكرها من بداية الرواية إلى نهايتها، وهي أمّ عامر وعجوز فقيرة، تزوجت في سن مبكرة وعاشت تحت سيطرة والد زوجها القاسي، وأمه الطاغية، أنجبت الكثير من الأولاد إناثا وذكورا، وعاشت الحزن والحرمان لموت جميع أفراد عائلتها ما عدا عامر «**رأت كل العائلة تشتت في القرية ثم في المقبرة**»[1]، عانت الوحدة بسبب هجرة ابنها الوحيد المتبقي لها، وموت زوجها، فعرفت الظلم والأذى مما جعلها تفتح باب دارها لنساء القرية التي تجد فيهنّ الأنس، وكان منزلها مركزا لنشر الأخبار وفضح الأسرار، فَرْحَتُهَا بعودة ابنها من فرنسا لم تدم طويلا، وكانت سببا لوفاته وإن كان بطريقة غير مباشرة، حيث دبّرت لقاء ابنها "عامر" و"شابحة" بالتواطؤ مع أمّ هذه الأخيرة تعاطفا معها كي تتمكن ابنتها من الإنجاب، وهو اللقاء الذي صرّح فيه كل واحد منهما بحبه للآخر، فزادت علاقتهما توطّدا فأخذا يلتقيان سرا إلى غاية اليوم الذي وجدهما الزوج متلبسين فقتله دفاعا عن الشرف، فكانت "كمومة" سببا في موت ابنها، وسببا في تعاسة "ماري"، وفي تيتيم طفل لم يرى النور بعد.

2-الشخصيات الثانوية: يكون دور هذا النوع من الشخصيات «**أقل في مجرى الحكي**»[2]، والشخصيات الثانوية في هذه الرواية جاءت على النحو التالي:

قاسي: والد "عامر"، وهو شيخ كبير في السن «**خرج بخطى الشيخ الثقيلة ورأسه في قلنسوة البرنس، وعصاه بيده**»[3]، كان "قاسي" يعاني ضائقة مالية، حيث تدهورت حالته الاجتماعية، فلم يعد قادرا على العمل، لذلك لجأ إلى بيع الحقول التي يمتلكها للحصول على لقمة عيشه، حتى وإن كانت عزيزة عليه «**في وقت ليس بالبعيد، كنت سأبيع قطعة من قلبي ولا يمس شبر من أرضي**»[4]، كما أنه كان يعتني بأرضه اعتناء شديدا من أجل ابنه "عامر"، ولكن بهجرته إلى فرنسا، ومع كبر سنه، وتدهور حالته باعها، والقطعة الأخيرة المتبقية اغتنم أحد أقربائه فرصة شرائها، وهي القطعة التي سيرجعها "عامر" مباشرة بعد عودته

1-الرواية، ص 17.

2-محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية، ودورها في المعمار الرّوائي عند نجيب محفوظ، ط1، 2007، ص 28.

3- الرواية، ص 21.

4-الرواية، ن ص.

من فرنسا، أمّا قاسي فقد توفي دون أن يرى ابنه مرة ثانية.

رابح أو حموش: من الشخصيات الثانوية التي ساهمت في تطوير المسار السردي للرواية، عمّ عامر، غادر قريته "إغيل نزمان" نحو فرنسا في ريعان شبابه، «**"رابح أوحموش" الذي كان قد قضي عشر سنوات في المنفى، ولا يفكّر إطلاقا في العودة، وهو في ريعان الشباب**»[1]. له مكانة كبيرة بين المهاجرين وحتى مع الفرنسيين أنفسهم «**فهو الذي اقتنى لمواطنيه الغرفة الكبيرة التي يقيمون فيها، وهو الذي وجد لهم العمل في المنجم، وهو همزة الوصل بينهم وبين الإدارة والشرطة وبين جمع قبائل المنطقة...**» [2]، وهو من وجد مكانة لـ "عامر" في المنجم كذلك، أقام علاقة غرامية مع صاحبة الفندق الذين كانوا يقيمون فيه، «**والبعض يدعي بأن البنت الصغيرة ماري هي ابنة رابح**»[3]، فتوترت الأجواء سواء في الفندق أو في المنجم، فزوج العشيقة كان شديد الغيرة على زوجته وعلى "رابح"، مما دفعه إلى قتل العشيق بعد أن خطط لجريمته بإحكام، "فرابح" أخطأ في حياته ولم يكن مستقيما فكان عقابه الموت، ولكن الأمور لم تقف عند هذا الحدّ، فموته كان سببا في شقاء "عامر" الذي أُلسقت التهمة به مما قلب حياته رأسا على عقب.

سليمان: عمّ "عامر" وزوج "شابحة"، وهو من الشخصيات التي ساهمت في تحريك أحداث الرواية وهو شخص قبيح، له قامة قصيرة جدا وأطراف معقدة ضامرة، وكثيرا ما يشبه بالضفدع، وبشاعة خلقته جعلته إنسانا فظا وشريرا، ويتميز بحقده وسخطه الشديد على الآخرين، وما زاد من بؤسه هو عدم قدرته على الإنجاب، فلم يترك قبّة أو زاوية أو مرابط إلا زارهم. تميّز بحقده على عامر والثأر منه، فظنّ أن عامر قاتل أخيه، فأظهر طبع عداوته اتجاهه منذ اليوم الأول من عودة "عامر" من فرنسا، خصوصا بعد العهد الذي قطعه على عمه علي، "**فوجد سليمان العجوز "علي" سرًا أمام الله أن يثأر له، مما خفَّف عن علّي أوقاته الأخيرة وأثقل السنوات الباقية على سليمان**"[4]، ولكن "سليمان" و"عامر" لم يدوما طويلا على هذه الحالة حتى تصالحا وأصبحا صديقين بفضل زوجته وصهره اللذان أقنعاه بعكس ما يعتقد، حتى أنه عمل عند "عامر" فكان يستصلح أرضه ويحرثها، كما أن سليمان كتب جميع أملاكه على "عامر" لكي يُعيدها فيما بعد على اسم زوجته"شابحة"، لكن الشيء الذي لم يضعه في الحساب أن تكون زوجته على علاقة غرامية"بعامر"، وهذا ما أنغص حياته وجعله في حالة نفسية يرثى لها، فكان دائم الشك فيهما، ودائم الشك لمواعيدهما الغرامية، إلا أن شكوكه تحققت عندما وجدهما متلبسين، وهذا ما جعله يثأر لشرفه، بقتل "عامر" ولكن دفع حياته ثمنا.

1- الرواية، ص64.

2- الرواية، ن ص.

3- الرواية، ن ص.

4-الروية، ص 26.

شابحة: زوجة عم عامر "سليمان"، تزوجت من رجُل فرضه عليها والدها، رجل لم تحبه على الإطلاق وكل ما كانت تحسه اتجاهه هو مجرد عطف وشفقة زوج «**فرضوه عليها عنوة، كانت الفتاة الشابة التي في سن البلوغ تحلم بشيء آخر غير سليمان**»[1]، وما زاد من مأساتها هو عدم إنجابها رغم مرور عشر سنوات من زواجها، على الرغم من تجريبها لكل العقاقير والأدوية التي وصفت لها. رغم مساهمتها الفعالة في إزالة سوء التفاهم بين "عامر" وزوجها وإقناعه بالعدول عن الثأر، إلا أنها قامت بافتعال مشكلة أكثر تعقيدا، بوقوعها في حب "عامر" مما جعلها حديث القرية كلها، «**حيث كانت الشكوك تحوم حولها وأصابع الاتهام موجهة إليها من كل صوب، ونفس الشكوك كانت تراود زوجها الذي زادت من معاناته فأصبحت تظهر له كرهها تضاعف من غيضه ... نظرة خانقة هزة رأس، فلتة لسان تند بأعماق أفكارها**»[2].

سمينة: هي أم "شابحة"، كانت سمينة ممتلئة"، ثرثارة، مثقلة بالهموم، دائمة القلق على ابنتها الوحيدة "شابحة"، و أمنيتها الوحيدة أن ترزق بحفيد، وسعت إلى إتباع كل السبل التي من الممكن أن تجعل ابنتها تنجب أدوية، عقاقير شعوذة، لكن دون فائدة «**لم أفرط في أي شيء من أجل ابنتي لو أستطيع شراء ذلك الحفيد ... أمنح جميع أيامي الباقية للحظة التي أراه فيها..**»[3]. كانت "سمينة" تصلّي وتصوم وتؤمن كثيرا بالأحلام «**فهي تعتقد في الأحلام ...وتعرف جيدا كيف تؤولها لصالحها، هي في عالم ضبابي لا عقلاني كل ما فيه مثير...**»[4].

رمضان: أبو"شابحة"، وهو شخصية ساهمت في تغير أحداث الرواية، وكان "رمضان"«**أكبر أفراد إغيل نزمان سنا وأرجعهم عقلا**»[5]. عمل في فرنسا كمنجمي مدة طويلة ثم عاد إلى قريته، والأمر الذي كان يشغل باله هو عودة "عامر" من فرنسا، لأنه يعلم بأن صهره "سليمان" حاقد عليه، وعازم على الثأر لدم أخيه "رابح أوحموش"، «**إن ما يشغل بال رمضان هو عودة عامر...**»[6]، فسعى جاهدا لإفهام "سليمان" بأن قاتل أخيه لم يكن "عامر" «**شرح "رمضان" لـ"سليمان" في البداية بدقة ماذا يحدث في المنجم...وأثبت له أن القاتل الحقيقي هو البولندي وفي كل مرة كان "رمضان" يقدم حججا بكيفيات مختلفة...**»[7] فـ"رمضان"

1-الرواية، ص 156.
2-الرواية، ص 181.
3-الرواية، ص 182.
4-الرواية، ص 132.
5-الرواية، ص 67.
6-الرواية، ص 102.
7-الرواية، ص 103.

كان شجاعا وصريحا يصلي ولا يخادع الخالق، وله الفضل في إصلاح سوء التفاهم «**الفضل يعود إلى رمضان... في صداقة العم وابن الأخت...**»[1].

حسين: هو ابن عم عامر، وهي شخصية ساهمت في تحريك بعض أحداث الرواية، يظهر في الوهلة الأولى إنسانا طيبا ولكنه إنسان منافق، ويظهر هذا في ادعائه برعاية العجوزين "كمومة وقاسي" ولكنه لم يخجل في الاستيلاء على قطعة الأرض المتبقية لهما، فاستغل سوء أوضاعهما المادية لينال مراده، كما أنه وبمجرد وفاة عمه "قاسي" تبرأ من العجوز "كمومة" حيث تركها تتخبط في مأساتها دون رحمة، وهو إنسان يحب تمويه الآخرين ويحسن التباهي أمام الناس ولا يرفض لأحد طلبا أمام الملأ، فاستغل"عامر" هذه النقطة فيه واسترجع قطعة الأرض الخاصة بوالديه، كان سببا في نشر العلاقة الغرامية التي تجمع بين شابحة" و "عامر" حيث فضح أمرهما مما جعلهما على كل لسان، وذلك عندما رآهما مع بعض ويتعانقان أمام باب منزله، فتواجه مع "عامر" لهذا السبب، لكنه لم يفلح في مواجهته كرجل وهزم شرّ هزيمة، وأصبحا أعداء من تلك اللحظة.

حمامة: زوجة حسين، شديدة الإعجاب بنفسها، وعاقر لا تنجب، وهذا ما جعلها تزوج زوجها لكي تهب له وريثا «**أخذت من بنات أعمامها أقبح فتاة وأتفهها ثم وهبتها إلى حسين دون عرس وحملت منه على الفور...**»[2]، تميزت بعدائها الشديد لـ "شابحة" وغيرتها المفرطة عليها، فوجدت فرصة لإذلال "شابحة" بعلمها بعلاقتها بـ"عامر"، حيث حاولت فضحها أمام جميع النسوة في العين، فكانت لا تفوّت فرصة لاستفزاز "شابحة"، وهذا ما دفع هذه الأخيرة للرّد عليها لرد الاعتبار لنفسها، وهذا الأمر لم يزد "لحمامة" إلا الكره من طرف النسوة اللواتي كنّ يُكنّ لها احتقارا كبيرا، لغرورها وتكبرها، وما زاد من كرههن لها معاملتها السيئة لضرتها، والتي كانت سببا في موتها.

إيفون: أمّ ماري تعمل في الفندق الخاص بزوجها، كانت على علاقة بـ"رابح أوحموش" حيث أنها لا تطيق زوجها "أندري" الذي كان يغار عليها وعلى عشيقها "اعترفت له "إيفون" بعلاقتها برابح وكذلك بغيرة أندري «**وكانت قد واجهت هذا الأخير بذلك ولم تخشاه أو تطيق وجوده**»[3]، فإيفون هي التي دفعت "بأندري" إلى قتل "رابح أوحموش"، ومن ثمة طلقته لتتزوّج برجل آخر.

أندري: زوج عشيقة "رابح أوحموش"، وهو رجل بولندي، يعمل في منجم كما يملك فندقا، وفي فندقه يسكن جميع أفراد "إغيل نزمان"، "**كان أفراد إغيل نزمان يقطنون جميعا بفندق أندري**"[4]، غيرته من زوجته و"رابح

1-الرواية، ص 147.

2-الرواية، ص 165.

3-الرواية، ص 81.

4-الرواية، ص ن.

أو حموش"، وتأكده من العلاقة الموجودة بينهما جعله يتخلّص منه، ولتطهير شرفه قتل العشيق بعد أن خطط لجريمته بإحكام بالتأكيد أن "أندري" قد ذهب خفية أثناء القيلولة «**ليتأكد من أن رابحا نائما في المكان المعتاد، لقد كان أندري هو القاتل وحضّر جريمته بدقة**»[1]، «**وبهذا ثأر لشرفه فقد تصرّف أندري كما يتصرّف القبائل**»[2]، لكنه أوقع عامر في ورطة لا يُحسد عليها، فقد أجبره على الإدلاء بتصريحات تبرئه لكي يُظهر للسلطات بأنه حادث، وإلا سيتهم "عامر" بارتكاب الجريمة، وهذا ما جعل الجميع ينظرون إليه نظرة سيّئة لتفريطه في دم عمّه، بل أكثر من ذلك، هناك من يعتقد أنه قاتله.

غارين: امرأة تملك نزلا بأربع وعشرين مفتاحا «**يقطنه أناس من شمال إفريقيا**»[3]، ساعدت "عامر" في الحصول على غرفة، كما ساعدته أيضا في العثور على "ماري"، وخففت من معاناته حيث أوضحت له الأمور وغيرت نظرته نحو المستقبل، فعزم الزواج من "ماري" والسّير قدما.

سي محفوظ: هو مرابط ذهب إلى "سليمان" من أجل أن يفسّر له حلما، يتعلّق بمسألة الثأر والعهد الذي قطعه "سليمان" على عمه "علي"، ولكنه لم يُفد "سليمان" في شيء بسبب التشويش الذي حدث، فبقي "سليمان" حائرا بين إقدامه على الثأر والوفاء بالعهد أم التسامح والعزوف عنه، كما لمح "سي محفوظ" "لسليمان" بأنه سيرزق بطفل بعد سنة، وهذا ما جعل "سليمان" يتفاعل خيرا، وسعيد بهذه البشرى.

3-الشخصيات العابرة:

هذا النوع إما يشير إليه الكاتب إشارة خفيفة، أو يذكرها في سياق معين كشخصية غيبية دون أن تكون حاضرة في الرواية كشخص له دوره ومن بين الشخصيات التي وردت في الرواية نذكر:

فطة: ابنة عم "حمامة" والتي زفّتها لزوجها من أجل الحصول على وريث، وهي من الشخصيات الغيبية التي لم تظهر في الرواية، وإنّما أتى ذكرها في سياق الحديث من طرف "شابحة"حينما كانت تتحدث مع زوجها بموضوع الإنجاب رغبة منها في صرف نظر زوجها عن فكرة إعادة الزواج للتمكّن من الإنجاب، وفطّة هذه امرأة قبيحة الشكل، ذاقت جميع أساليب القسوة والعذاب من طرف ضرّتها خصوصا برؤيتها ابنها يُبعد عنها بقسوة.

سي بلقاسم: من الشخصيات التي لم تذكر في الرّواية، وإنّما ذُكرت في سياق معيّن أمثال «**بلقاسم"الذي بتِرَتْ فخذه** ...» [4]، وهو أحد المهاجرين إلى فرنسا وعمل في المنجم مع "عامر"، وذُكر عندما كان "عامر" يفكر في

1-الرواية، ص 78.

2-الرواية، ص 70.

3-الرواية، ص 84.

4-الرواية، ص 72.

المهاجرين الذين تركوا أوطانهم وعائلاتهم.

جوزيف ميتار: زوج أم "ماري" «**كانت والدتها قد ارتبطت مرّة أخرى بسيد كبير في السن يسمى"جوزيف ميتار"، ونادته "بابا" لمدة خمس سنوات**» [1]، وهو السبب في هروب "ماري" من البيت، لأنها كانت تبغضه لمحاولته التقرب منها والاعتداء على أنوثتها.

لوسيان: امرأة بشعة وسمراء، «**فمها شديد الاتساع وأنفها شديد القصر يشق ذقنها ندب وردي اللون كأنّه أخدود غريب**»[2]، ومع ذلك كانت مرحة وخفيفة الظل، وهي تعمل خادمة في نُزل السيّدة غارين، ولها الفضل في تنبيه صاحبة الفندق بوجود غرفة شاغرة "لعامر"، ولم يكن دورها فعالا في الرواية، فقد ذكر اسمها مرّة واحدة في سياق الحكي.

جوزيف: أحد الزبائن المقيمين في نُزُل السيدة "غارين"«**جوزيف الأسمر الضخم سوف يذهب**»[3]، ذكر مرة واحدة في سياق معين، عندما ذهب "عامر" ليسأل عن غرفة في الفندق.

السائق: اكتفى السارد بذكر مهنته ولم يذكر اسمه الشخصي، وهو رجل أسمر وضخم «**السائق الأسمر الضخم، الملتحي الذي يلبس سترة جلدية، وعلى رأسه شاشية مثلهم يعود إلى المدينة**»[4]، وهو لم يكُن له أي دور في تحريك الأحداث ولم يذكر مرة أخرى، وهو من أوصل "عامر وماري" من المدينة إلى قرية "إغيل نزمان" عند قدومهما من فرنسا.

المتسوّل: تحدّث عنه "سليمان لعامر" عندما ذهبا إلى المقبرة، فهو شخصية ذكرت غيابيا، وفي سياق معيّن، «**مات خلسة في ليلة من ليالي الشتاء في تاجمعت... لا شخص يعلم من أين أتى ولا ما اسمه**»[5]، تحدّث عنه "سليمان" لكي يقنع عامر بعدم مآخذة عمه "سليمان"، فهذا الأخير متأثر بدفن أخيه في الغربة، فمن يُدفن في أرضه ليس مثل من يدفن في أرض غريبة عنه.

الشحاذ العجوز: لم يُذكر اسمه إلاّ مرّة واحدة «**الله يا مؤمنين... تناولت شابحة المغرفة فملأتها بالكسكسي، وذهبت بها مسرعة إلى الشحاذ، ثم دعا لها بقوله: الله يبعد عليك المصائب. .. يا**

1-الرواية، ص 119.

2- الرواية، ص 85.

3- الرواية، ص ن.

4-الرواية، ص 40.

5-الرواية، ص 142.

بنيتي»[1]، وهذه الحادثة تركت أثرا في نفسية "سليمان"، فكانت بالنسبة إليه نذير بوقوع الكارثة.

لعمارة المنجمي: شخصية ذكرت في الصفحات الأخيرة من الرواية، وهو الشاهد الوحيد على الحادثة التي أودت بحياة "عامر" و "سليمان"، «**أخذ لعمارة مرّة أخرى يروي ما حدث وعيناه لا تزال جاحظتان من وقع الانفعال**»[2]، حيث أكد "لرمضان" أنه لم يكن حادثا تلقائيا، بل "سليمان" هو الذي تعمد التوجه نحو موضع المتفجرات برؤيته لقدوم "عامر"، بعد أن لهيه عن إنذار المارة بوقوع انفجار كعادته.

شيخ مرابط: هو شيخ لقَّنَ "عامر" الشهادة في اللحظات الأخيرة من حياته «**كان الشيخ مرابط يلقنه الشهادة، فمه في أذنه مباشرة بالقرب من الجلطة السوداء...**»[3]

نلاحظ أن هذه الشخصيات لم تظهر كشخصيات فاعلة في تحريك أحداث الرواية، وإنما ذكرت فقط في مسار الحديث عن حدث معين، وبعبارة أدق ظهرت كشخصيات مغيّبة عُرِفت من خلال حديث الشخصيات الأخرى عنها، وذكرت عدة شخصيات أخرى في الرواية منها: (القاضي، شاب من عائلة آيت أوحموش، شابّان من عائلة آيت أوحموش، سالم تسعديت، ورديّة، علي، سعيد...إلخ).

1-الرواية، ص 267.

2-الرواية، ص 311.

3-الرواية، ص 309.

المبحث الثالث: أبعاد الشخصية

1-أبعاد الشخصية:

1.1-البعد المادي: من خلال السارد يتجسد البعد المادي في عدة شخصيات ذكرت في الرواية من بينها:

عامر: هو شاب جميل ووسيم أبيض البشرة وبدون شوارب:«**إنه وسيم شاب حاسر الرأس بدون شوارب**»[1]. طويل القامة، قوي البنية، وضخم الهيئة «**طويل قوي، صحيح معافى**»[2]، يرتدي الملابس النظيفة «**نقي في قندورته الحريرية الزرقاء**»[3]، «**وبرنوسه النظيف الذي يدل على سعة يده**»[4]، كل هذه الصفات جعلته إنسانا محترما ومحبوبا لدى الجميع ومحطّ إعجاب، وهذا ما جعله يثق ويفتخر بنفسه، ومنذ أصبح عامر في المنجم أصبح قادرا على تقدير قوة الرّجال، فلا شيء يماثل في نظرة «**الرّجل الذي يقبض الفأس بدون تردد ويهدم المنجم هدّا...لا يكلّ ولا يملّ من العمل**»[5].

ماري: شابة في مقتبل العمر في غاية الجمال، «**كانت السيدة الجميلة تبتسم لهم ابتسامة ملكة تتنازل لمن هو أدنى منها**»[6]، رشيقة وطويلة، شعرها أشقر عيناها زرقاوان، وشفتيها حمروان، «**لقد كانت رشيقة في قامة عامر تقريبا، ذات شعر أشقر حريري مسرّح بدقة على القفى الممتلىء، عيناها الزرقاوان زهر اللبين، وشفتاها الحمراوان خشخاش منثور**»[7]، ولها وجه واسع، ساحر، وأنف قصير، وحواجب مقوسة، ونهدين بارزين، وكان وجهها يمتلىء سحرا وجرأة، «**وجه واسع أكثر منه مستدير، جبهة مستوية، وأنف قصير جميل الانتصاب، وحواجب مستفيضة مقوّسة بإحكام، أمّا ما تحت وجهها فمرسوم بوضوح**» [8]، وكانت ترتدي ملابس تزيدها رونقا وجمالا وسحرا «**ارتدت السيدة جوارب فاتحة اللون، و حذاء بكعب منخفض، و جبة من قماش الكبريت الأصفر الذي تزينه أزهار حمراء، فأصبحت تبدو كالساحرة اللّطيفة التي جاءت لتحلّي بحضورها هذه المناظر الطبيعية الريفية...**» [9].

1- الرواية، ص04.
2- الرواية، ص133.
3- الرواية، ص ن.
4- الرواية، ص209.
5- الرواية، ص 70.
6- الرواية، ص4.
7 - الرواية، ص 51.
8- ارواية، ص ن.
9 - الرواية، ص 52.

كلّ ما تتميّز به من صفات تجعلها تشعر بالثقة في نفسها، و بأنّها الأجمل من بين جميع النساء، «**ترى نفسها جميلة جدا وسط هؤلاء الفلاحات... كل هذا أعطاها شيئا من الثقة التي تنم عن الاحترام**»[1].

كمومة: سمراء مشربة بحمرة هزيلة طويلة منحنية الظهر، لها شعر صوفي، وعينان كبيرتان سوداوان، وجفنان عاريان من الأهداب، «**إنها سمراء مشربة بحمرة مدهشة عجفاء، طويلة ولكنها منحنية الظهر وهشة مثل قصبة جوفاء، ظهرت من تحت منديلها الممزق خصلات شعرها الصوفي، وعيناها السوداوان الكبيرتان المرتجتان، وبصرها الغامض، وجفناها الحمروان العاريان**»[2]، «**شكلت مظهرا مثيرا للضحك وهي تحاول جادة الجلوس على الكرسي الذي أحضره لها ابنها "عامر" من فرنسا عندما جثمت على المقعد مشكّلة زوايا هندسية حادة، رجلاها مستويتان ومسمّرتان على الأرض ويداها تحت الفخذين الطويلين الهزيلين متشبثة بها على المقعد لكي تمسك نفسها...**» [3]، أثّر عليها كثيرا موت ابنها "عامر"، «**كانت "كمومة" تدور حول السرير ... وقد يبست واعوجت، وظهرت عليها التجاعيد فجأة، ووضعت يديها تحت حزامها، وغرستها في بطنها الأجوف، وصارت أضلعا خطوط منكسرة**»[4]، كل هذه الأوصاف تظهر على أنها عانت كثيرا في حياتها، وموت ابنها زادها شؤما وغضبا وثورة.

قاسي: ذكر السارد بعض أوصافه الخارجية وهي قليلة جدا منها: «**كان أهل القرية يلتقون في الطريق بشبح قاسي الطويل القامة، ففي الصباح الباكر يخرج بخطي الشيخ الثقيلة ورأسه في قلنسوة البرنس، وعصاه بيده، وجرابه الجلدي يختفي تحت قندورته**»[5]، فهو رجل طويل القامة يرتدي، برنوسا، ويحمل عصا بيده، وهو شيخ متثاقل الخطى، فمن ملامحه يظهر بأنه مثقل بتجارب الحياة.

رابح أوحموش: هو رجل ضخم له وجه عريض، وشوارب، وعينان سوداوان داكنتان، وشعر أسود، «**ضخم أشعر، ذو وجه عريض وعينان داكنتان وشعر أسود وشوارب**»[6]، وهو شديد الاهتمام بمظهره، فكان يقلّم شواربه بانتظام، ويلبس لباسا متناسقا وله صوت جهوري، وسحنة متسامحة قوية، كل هذا جعله يفرض نفسه، ووجوده سواء بين مواطنيه من الجزائر أو بين الفرنسيين من عمال المنجم أو الإدارة والشرطة، «**له شوارب**

1 – الرواية، ص7.

2- الرواية، ص34.

3- الرواية، ص319.

4-الرواية، ص ن.

5- الرواية، ص 21.

6-الرواية، ص64.

مقلمة باستمرار واستطاع فرض نفسه على الجميع بصوته الجهوري، وسحنته المتسامحة القوية ولباسه المتناسق»[1].

لا يتقن اللغة الفرنسية ولكنه يفهمها ويمكنه الإفهام، «**يتكلم فرنسية رديئة مثلها مثل لهجات الشمال ولكنه يستطيع الإفهام، ويعرف كيف يرسم اسمه بالحرف الاستهلالي لصوت H وصوت R**» [2].

سليمان: ذو ملامح بشعة تجعل الناس ينفرون منه، رجُل قبيح جدا، وكثيرا ما يشبه بالضفدع، «**وغالبا ما يشبه بالضفدع، وهو بهيمة منفرة، فإذا أدهت عليها لطختك، وإذا تجرأت على لمسها قزتك**»[3] وهو قصير القامة معقد الأطراف قامة قصيرة جدا وأطراف معقدة ضامرة إنه شرغوف أكثر منه ضفدعا، «**هو رجل قصير ومدكوك**»[4]، لديه وجه مربع الشكل وعينان حمروان خاليتان من الأهداب، وجسد لا شكل له «**مربع الوجه... عينان حمروان لا أهداب فوقهما، وجه مسج،... أعضائه لا تقوى على تشكيل مجموعة منسجمة**»[5]، هزيل يلبس ملابس رثة ومتسخة، «**قصير أعجف بلون الرماد تلفه لباس رنّة بلون الأرض**»[6] كل هذه الأوصاف التي يتصف بها سليمان جعلته فضا، وشرسا، سليط اللّسان، يتعمد إثارة الآخرين وجرح مشاعرهم، والذين كانوا ينفرون منه بدورهم.

شابحة: شابة في سن الثامن والعشرين، ولكنها لا تزال جذابة وفي كامل لياقتها، «**هي الآن في سن الثامن والعشرين، ومع ذلك لا تزال في هيئة الفتاة الصغيرة**»[7]، تزوجت في سن مبكرة لكنها لم تنجب، مكتنزة متوسطة القامة وقوية، لديها شعر طويل أسود اللون زادها جمالا، وهي سمراء لها وجه يقض، وعينان سوداوان واسعتان، عندما تتضايق تصعّر خدها ببراءة كبراءة الطفل المتضايق، وما يزيدها بهاء مطة شفتيها "**يشاهد**

1- الرواية، ص64.

2- الرواية، ن ص.

3- رواية، ص99.

4- الرواية، ص ن.

5- الرواية، ص ن.

6- الرواية، ص ن.

7- الرواية، ص ن.

.

تصعيرة الخد ومطة الشفتين المبهة والمتذمرة التي يُحسن صنعها ذلك الفم الندي، تقوم بحركات صبيانية وطائشة، غزت "شابحة" ذلك القلب بحركاتها الصبيانية المتشيطنة»[1]، إنّ جمالها وملامحها الجذابة جعلتها مرحة وقوية وصريحة، وكانت مرغوبة، وجميع النسوة يكنّ لها التقدير والاحترام ومشاعر الإعجاب.

سمينة: هي امرأة متقدمة في السن، ضخمة، وممتلئة، فالأوصاف التي وصفها بها الكاتب تظهر ذلك، «**رجلا سمينة الثقيلتين المتضخمتين**» [2]، «**ندّت تنهيدة من يمّا سمينة وهي تقف متثاقلة**»[3]، وهي سمراء البشرة و لديها خدّان غليظان متدلّيان تخترقهما أخاديد، و لديها نظرات جامدة توحي على أنّها دائمة التفكير، «**أمّا نظرات سمينة الجامدة...**»[4]، نلاحظ أن السارد لم يعط وصفاً دقيقاً لهذه الشخصية، وما نستنتجه أن سمينة متقدمة في السن ومثقلة بالهموم، ودائمة التفكير والقلق على ابنتها الوحيدة "شابحة" التي لم تنجب بعد مرور عشرة سنوات من زواجها.

رمضان: لم يهتم السارد بإعطاء أوصاف خارجيّة له، و اكتفى بالإشارة إلى سنّه، فهو رجُل مسنّ متعقل « **كان رمضان أكبر أفراد إغيل نزمان سنا و أرجحهم عقلا**»[5]، استاء رمضان من أحد شبّان عائلة آيت أو حموش الذي شتم ابنته وأساء إلى سمعتها، فكانت ردة فعله عنيفة، فرغم تعقله ورصانته إلا أنّه لا يقبل أبدا أن تداس كرامته، «**فقد رمضان السيطرة على أعصابه، و فجأة صار سكرانا من الغضب، أحس بقلبه يخفق بقوّة، ودمه يسيل مدرارا في شراينه، و عاد له عنفوان شباب العشرين**» [6].

وحسين: شاب جميل، موفور الصحة «**لا يزال حسين شابا تلوح على طلعته الصحة، ملامحه لا تزال عادية تجعل منه شابا جميلا**»[7]، له عينان زرقاوان وسحنة صهجاء، «**وهو معجب بعينيه الزرقاوان**

1- الرواية، ص155.

2-الرواية، ص157.

3-الرواية، ص ن.

4- الرواية ،ص ن.

5 - الرواية، ص76.

6-الرواية، ص282.

7- الرواية، ص283.

وبسحنته الصهجاء»[1]، يحب ارتداء الملابس النظيفة وشديد الاهتمام بمظهره وكل هذه الصفات جعلت منه إنسانا متكبرا ومغرورا، تنقصه الشجاعة والقوة، فتغلب عامر عليه في مشاجرة حدثت بينهما، فكان محمر الجبين ومتعبا، «**فذهب محمرّ الجبين يمسح عرقه ...فقد كان منهزما ومتعبا وحزينا...لأنه لم ينجح في رفع رأسه ومواجهة عامر كرجل**»[2].

حمامة: لم يسهب السارد في وصفها، بل اكتفى فقط بتقديم تلميحات بسيطة، منها أنها كانت جميلة، «**و أن يرى بأم عينيه الفرق بين حمامة الجميلة وامرأة أخرى**»[3] وكانت مكتنزة وممتلئة ممّا يبيّن ذلك «**فخذاها المستديران وردفاها الممتلئان، وعضداها**»[4] و«**كثيرة الاهتمام بمظهرها وقوفها الطويل أمام المرآة..**»[5] نظيفة وأنيقة المظهر «**بعد الحمّام أخرجت أجمل جبتين لديها وحزامها الحريري ومنديلها الجديد، ثم سرّحت شعرها وتعطرّت**»[6]، وإعجابها الكبير بنفسها جعلها تعتقد بأنها الأجمل بين النساء، كما أنها غيورة ومتكبرة، وهذا ما جعل النسوة يكن لها احتقار كبيرا.

إيفون: لم يعط السارد وصفا دقيقا لملامحها الجسمية، وإنما قدم بعض الأوصاف فقط، «**أنها امرأة مكتنزة وشقراء، ولديها ضحكة حادة والسيدة إيفون امرأة مكتنزة شقراء ذات ضحكة حادة**»[7]، وهي امرأة قوية «**تعرف كيف تتنمر وتحيي هامة أغلب المكترين البخلاء المتمردين، مليئة بالحياة والرغبة وقوية كاللبؤة**»[8]، من خلال الأوصاف تبدو شخصية مهابة، وهذا ما جعلها تحوز على تقدير واحترام الجميع من زبائن الفندق والمقهى.

أندري: رجل بحتري وساذج، طويل القامة، ضخم الهيئة وعريض المنكبين، وشعره أحمر «**كان رجلا بحتريا، وساذجا وضخما منتصب القامة، وعريض المنكبين، كأنه كبش تعلو رأسه فروة حمراء**» [9]، أحمر البشرة، لديه وجه واسع وشوارب وشفتان رقيقتان «**له وجه أحمر عريض وشوارب نازلة إلى الأسفل، وفاه واسع**

1- الرواية، ص283.
2 - الرواية، ص289.
3- الرواية، ص166.
4 - الرواية، ص167.
5- الرواية، ص184.
6- الرواية، ص 167.
7- الرواية، ص68.
8- الرواية، ص ن.
9 - الرواية، ص ن.

وشفتان رقيقتان»[1]، الملامح الجسدية له جعلت الجميع ينفرون منه، لدرجة أن زوجته كانت لا تطيقه، ما جعلها تقيم علاقة غرامية مع "رابح حموش"، وبالتالي كان شديد الغيرة.

غارين: لم يسهب الكاتب في تقديم الأوصاف المادية لها واقتصر فقط بذكر شكل جسمها وملابسها، فهي امرأة مكتنزة وممتلئة، وتحب ارتداء ملابس قصيرة سوداء، «**كانت ربة العمل ترتدي ملابس سوداء قصيرة امرأة مكتنزة..**»[2].

سي محفوظ: رجل يضع عمامة ويلبس ملابس بيضاء، «**كل ما عليه من الملابس باللون الأبيض**»[3] ضخم الهيئة، أسمر البشرة وملتحي ولديه عينان، سودوان، نظراته حادة وعميقة، «**رجل ضخم، وجهه الأسمر المتناسق يطلّ من خلال قلنسوته المحسورة إلى خلف عمامته، يبهر الناظر إليه بلحيته الرمادية وعينيه السوداوين اللتين تنبعث منهما نظرات عميقة حادة**»[4] وهذا ما جعله مهاب الشخصية وشديد الثقة في نفسه.

إن البعد المادي «**يشمل المظهر العام**»[5]، وهو يساعدنا على فهم الشخصية والتعرف عليها بصورة مباشرة من خلال الحكم على مظهرها الخارجي، ولقد اختلفت الأوصاف المادية باختلاف الشخصيات في الرواية، فنلاحظ تميز كل من "عامر" و "حسين" بنفس الصفات، فكلاهما يتميزان بـ"الجمال" و"الطول"، في حين نجد "سليمان" عكسهما تماما، فهو يتميز بقبح مظهره وقصر قامته. أما بالنسبة لـ"ماري" و "شابحة" و"حمامة" فجميعهن يشتركن في صفة الجمال في حين يختلفان في "الطول"، حيث أن "ماري" و "حمامة" طويلتان، أما "شابحة" فهي قصيرة.

والشيء الذي استخلصته هو أن "الجمال" و"القبح" و"الطول" و"القصر" قد يؤثران على الشخصية فتصبح أكثر تكبرا وغرورا مثل "حسين" و"حمامة" أو أكثر تواضعا ولطفا مثل "عامر"،"شابحة"، "ماري". كما يمكن "للقبح" و "القصر" كذلك أن يجعل الشخصية حادة الطباع وشرسة مثل "سليمان".

1- الرواية، ص68.

2 – الرواية، ص85.

3 – الرواية، ص107.

4-رواية، ص ن.

5-محمد عبد الغني المصري، مجد محمد البكير الرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية و التطبيق، دار الوراق، الأردن، دط، 2002، ص150.

2.1-البعد الاجتماعي:

يبرز الكاتب من خلال هذا البعد بصفة عامة، الشَّخصيّة في علاقاتها بالمجتمع المحيط بها، من عقيدة، و علم، وعمل، وحياة عائلية، ونوع التربية والتعليم، وتفاوتت الأوصاف الاجتماعية التي منحها السارد لشخصيات هذه الرواية، ومن بينها:

عامر: «**رجل غني، يعيش حياة رغيدة وادّخر مالا كثيرا عندما كان في فرنسا فهو لم يكن يحرم نفسه من شيء... وثقة عامر دليل على ثرائه**»[1]، كان بالنسبة لوالديه ابنا ضالاً، حيث أنه هاجر إلى فرنسا ومكث فيها خمسة عشر سنة دون أن يسأل عليهما، عمل في منجم ومتفان في عمله، فلقد هاجر إلى فرنسا من أجل العمل والحصول على الثروة، فعُرف بتفانيه وإخلاصه الشديد فنال بذلك تقدير واحترام الجميع، والأمر الذي لم يضعه في الحسبان هو اتهامه بجريمة قتل مما غير مسار حياته «**غير عنوان سكنه أربع مرات أو خمس وعمل في أكثر من عشر شركات**»[2]، وهو رجل متزوّج من "ماري" و" زواجه" منها كان يسعى من ورائه إلى تخليص نفسه من عذاب الضمير على سكوته عن دم عمّه الذي ذهب غدرا، كما أنّه على قدر من المعرفة والثقافة، حيث حاول إصلاح أمور «**تاجمعت بعد عودته من فرنسا فحاول سنّ قوانين لها، فأصبح بذلك بمثابة وجيه القرية أصبح عامر وجيها شابا..**»[3]، فهو يعرف كيف يتكلّم وكيف يجيب، وما جعله محطّ إعجاب ومبلغ الإثارة والدهشة، فاكتسب بذلك احترام أهل القرية له.

ماري: فتاة فقيرة ومتواضعة، ولكن زواجها من عامر حسن من أوضاعها «...**حياة الكلاب الفقيرة بباريس فقد طالت كثيرا ليتغير الإطار على الأقل...**»[4] «**عملت كخادمة في محل بسبب هروبها من بيت زوج والدتها، فعانت كثيرا من ربّ عملها الَّذي يستغلها كالعبيد...**»[5]. وهي امرأة متزوّجة، فمنذ أن تعرّفت "بعامر" تغيرت حياتها فتزوجت منه وقررت المجيء معه إلى "الجزائر"، أين اندمجت بسرعة في مجتمعها الجديد، حتّى أنّها تعلّمت اللغة القبائلية بسرعة وهذا ما جعل النسوة يكنّ لها محبّة خاصة واحتراما كبيرا لحسن تعاملها. كما أنّها ربة بيت ممتازة ، فكانت تتعلّم من "شابحة" إعداد الأطباق الخاصة بمنطقة القبائل، كما كانت تتفنّن في إعداد الأطباق الفرنسية، وتتباهى بصحوتها وأوانيها المنزلية التي لا يملك أحد مثلها في قرية "إغيل نزمان".

1- الرواية، ص46.
2- الرواية، ص83.
3 - الرواية، ص 52.
4 – الرواية، ص80.
5 – الرواية، ص172.

كمومة: فقيرة ومتزوجة «**إنّ كمومة عجوز فقيرة**»[1] تزوّجت في سن مبكرة، وعرفت الظلم والأذى من طرف والد زوجها القاسي وأمه الطاغية. و هي أم لعدد كبير من الأولاد، ولكنّها عانت كثيرا بسببهم، حيث أنها أنجبت أطفالا ذكورا وإناثا، وعرفت الولادات المؤلمة بلا عناية وليالي السهر والمرض وسنوات الحزن والحرمان ومرارة الوحدة، فقد توفي جميع أولادها قبلها، والوحيد المتبقي لديها هاجر إلى فرنسا ونسيها، وما زاد من بؤسها موتُ زوجها «**فوجدت نفسها وحيدة وبلا عائل يعيلها** ..»[2] وتمنّت مرارا لو أنها ماتت قبل قاسي فكانت تقتات من صدقات النسوة التي فتحت لهن باب دارها لتستأنس بهنّ، وقد كان الجميع يكنون لها الاحترام، «**ذلك الاحترام الذي يحيطها به أهل القرية...**»[3].

رابح أوحموش: عامل في منجم، مخلص في عمله، لديه مكانة مميزة ومعروف لدى الجميع، ما جعله يحظى بتقدير واحترام الجميع «**استطاع فرض نفسه على الجميع...وهو همزة وصل بينهم وبين الإدارة والشرطة**»[4]، «**وهو لم يكن متعلّما ولا يتقن اللغة الفرنسية يتكلم فرنسية رديئة..**»[5]، مستهتر بالقيم، ورغم كبر سنه لم يتزوج، ولكنه كان يقضي جل وقته الضائع في تعقب النساء، كما أقام علاقة سرية مع مالكة الفندق الذي يقيم فيه، كما أن البعض يدّعي أن ماري ابنة غير شرعية له، فهو من المهاجرين الذين لا تمدّهم أية صلة بأوطانهم، حيث قرر مسبقا عدم العودة إلى قريته أبد، وهذا ما حدث بالفعل، فقد قُتل من طرف زوج عشيقته، «**فهو لم يكن مستقيما في حياته فكان عقابه هو الموت**»[6].

سليمان: فلاح وفقير «**إن سليمان لم يكن سوى فلاح، فلم يذهب إلى فرنسا قط**»[7]، و كان يزدري الأغنياء، و كانت عائلته من أغنى عائلات إيغيل نزمان، لكن تدهورت أوضاعهم، فعزم أن يعيش فقيرا لأنه لم تكن تحت كفالته سوى زوجته. أمي وجاهل ولم يكن متعلّما «**ولم يذهب سليمان إلى المدرسة أيضا**»[8]، غير أن عيشته الدائمة في القرية ومعايشته للعديد من الأجيال أكسباه ثقة كبيرة بالنفس، ولكنه كان يؤمن

1 - الرواية، ص16.
2 – الرواية، ص25.
3 - الرواية، ص32.
4- الرواية، ص64.
5- الرواية، ص ن.
6 - الرواية، ص79.
7 - الرواية، ص157.
8- الرواية، ص167.

بالدراويش. كما كان كثير العبادات «**يقضي سليمان شهره في العبادات...**»[1]، فعدم قدرته على الإنجاب دفعه إلى تجريب كل ما يقال له، وهذا ما زاد من كرهه للنّاس، ونظرا لسوء طبعه فإنه لم ينل إحترام الناس.

شابحة: امرأة فقيرة ومتزوجة زوجها والداها رغما عنها من رجل لا «**تحبه زوج فرضوه عليها عُنوة...كانت تحلم بشيء آخر غير سليمان**»[2]، وزواجها من رجُل لا تحبه وحرمانها من الأولاد دفعها إلى حبّ رجل آخر. فرغم عفتها إلا أنها لم تستطع كبت مشاعرها تجاه عامر، كما أنها إنسانة محترمة ومرغوبة من طرف الجميع، فرغم انتشار خبر علاقتها بعامر إلا أن نظرة الناس إليها لم تتغير.

سمينة: تصلّي وتصوم، وتحفظ الآيات القرآنية القصيرة «**تكبر وتصلي صلاة العشاء مرتلة صورة المعوذتين**»[3]، إلا أنها كانت جاهلة وغير متعلمة، حيث كانت تؤمن بالدراويش والمشعوذين لغاية في نفسها، وهي أن تتمكن ابنتها من الإنجاب «**لم أفرط في شيء من أجل ابنتي شابحة...**»[4].

رمضان: كان من بين المهاجرين إلى فرنسا، ولكن مع تقدمه في السن عاد إلى وطنه، عمل في المنجم كغيره من مواطنيه. وهو إنسان مؤمن بالله ويصلي بإخلاص «**إن رمضان يؤمن بالله ويصلي ولا يخادع الخالق**»[5] ويؤمن بقضاء الله وقدره، فلا يفزعه الموت ولا طالما ردّد أن الجميع سوف يموت، شهم وشريف ولديه القدرة على الإقناع فقد توصل إلى إقناع "سليمان" بالعزوف عن الثأر. فأثبت له أنّ القاتل الحقيقي هو البولوندي، كما نال التقدير والاحترام من طرف جميع أهل قريته بسبب طيبته وحسن تعامله.

حسين: لم يقدم السارد وصفا لحالته المادية، ولكن تبين خلال القراءة الجيدة للرواية يظهر أنه غني ومما يدل على ذلك «**يرتدي الملابس النظيفة، ويحب التطاول في تاجمعت وفي المقهى...**»[6]، متزوج ولديه طفل يقدر قيمة العائلة الصالحة فكان شديد الاهتمام بموضوع الزواج «**فقد تشدد كثيرا في اختيار الزوجة**»[7] يظهر في الوهلة الأولى أنه طيب ولكنه متغطرس ومنافق، ويحب تمويه الآخرين وهذا ما جعل الناس يكرهونه ويكنون له احتقارا في أنفسهم.

1-الرواية، ص160.

2-الرواية، ص156.

3-الرواية، ص230.

4- الرواية، ص221.

5- الرواية، ص227.

6- الرواية، ص103.

7 – الرواية، ص137.

إيفون: ثرية، تعمل في المقهى الموجود في الطابق الأرضي من فندق زوجها، «**تتكفل زوجته بالمقهى الذي في الطابق الأرضي**..» [1]، وهي إنسانة سيئة السمعة، حيث كانت تخون زوجها مع أحد الزبائن «**يهمسون بأن رابح عشيقها وذلك منذ أمد بعيد**»[2]، فكانت تكره زوجها ولا تطيقه، كما أنها لا تحترمه وهذا ما دفعها للانفصال عنه.

أندري: مهاجر من بولندا إلى فرنسا، وهو رجل ثري يملك فندقا، وعامل في منجم، مستهتر بالقيم ولكنه متفان في عمله «**كان يسكر سكرا فضيعا أيام الآحاد، ويبذل قصارى جهده في العمل بقية أيام الأسبوع**»[3]، رجل غير مثقف ولا يتقن اللغة الفرنسية «**يتكلم فرنسية أسوأ من فرنسية رابح أوحموش**»[4]. وهو رجل قاتل، فهو من قتل "رابح أوحموش" بسبب الثأر من شرفه، وغيرته الشديدة، لأنه كان يعلم بأنهما على علاقة.

من خلال بحثنا عن الأبعاد الاجتماعية لشخصيات الرواية، لاحظت اشتراك كل من "عامر" و"ماري" و"شابحة" في الاحترام، وهذه الصفة تزيد من القوة والثقة بالنفس، في حين تنعدم هذه الصفة عند "سليمان"، و"حسين" وهذا ما يؤثر على الشخصية فيجعلها جبانة.

أما فيما يخص الحالة المادية، فنلاحظ اشتراك كل من "عامر" و "ماري" و" حسين" في صفة "الغنى"، وانعدامها عند كل من "سليمان" و"شابحة"، ومنه نستنتج أن "الغنى" و"الفقر" يؤثران في شخصية الإنسان و في مكانته الاجتماعية.

3.1-البعد النفسي:

يشمل هذا البعد «**الأحوال الفكرية والنفسية وما ينتج عنها من سلوكات**»[5] وجاءت الأبعاد النفسية لشخصيات الرواية متباينة، منها ما يلي:

عامر: شخص مدان بالعرفان مخلص متقن لعمله حنون وعطوف ومحب لزوجته "ماري"، وهو ذو شخصية جريئة ومتواضعة في تعامل مع الناس شخصية تعيش داخل نفسها وتحن إلى الماضي، فبعده عن والديه وعن وطنه جعله مضطرب المشاعر ومشوش التفكير، فكثيرا ما يغمره شعور عميق بالحزن، ويستشيط غضبا لأن نفس الرؤى تعود إليه في كل مرة لتذكّره بوالديه، وتؤنب ضميره على تفريطه فيهما، فتنتابه

1- الرواية، ص164.
2-الرواية، ص80.
3-الرواية، ص68.
4-الرواية، ص80.
5 - محمد غني المصري، المرجع نفسه، ص 159.

«**ويفكر في وطنه.**»[1]، وهو رجل طيب ولطيف ومنشرح «**الجميع يجده منشرح النفس ولطيفا...**»[2] وهو شريف وقوي ومتعقل ورصين، «**إنه رجل متعقل ورصين..**»[3]، فرغم ما عاناه من وحدة وظلم وقسوة أثناء وجوده في فرنسا إلا أنه بقي محافظا على مبادئه التي شبّ عليها، وما يُعاب عليه خيانته لزوجته مع زوجة عمه.

ماري: شخصية شجاعة وواثقة من نفسها ومتأقلمة، «**ترى نفسها جميلة جدا وسط هاته الفلاحات...وكل هذا أعطاها شيئا من الثقة... وكانت رائقة ومتكيفة**»[4]، شخصية طيبة، «**تتميز بالتواضع في التعامل مع الآخرين، وبخصال حميدة منها الابتعاد التام عن المكر ...والغيرة**»[5]، إنسانة ذكية وتتميز بالبداهة، فتعلمت اللغة القبائلية في مدة قصيرة جدا، ولكن بعدها عن وطنها جعلها تعيش حالة شعورية مضطربة «**فكثيرا ما تجد نفسها حزينة وكئيبة وقلقة بدون سبب**»[6]، كما أنها شخصية مُحبّة ووفية ومخلصة لزوجها، وتألمت كثيرا لخيانته لها ومن موته أيضا «**كانت تبكي بدون انقطاع وتعيش بأكملها لآلامها**»[7].

كمومة: ما عانته من حرمان وبؤس وشقاء أكسبها القدرة على التحمل، فهي شخصية صبورة وشجاعة وقوية وطيبة، ولكن أحيانا تفقد رشدها وتصبح فضة وشرسة «**إن كمومة امرأة طيبة، لكن من يعلم إنها أولا وأخيرا عجوز..**»[8]، «**ثرثارة وعدائية، "كمومة" و"سليمان" يتشابهان كثيرا لكي تكون بينهما مودّة ومحبة**»[9]، وما زاد من عدائيتها وفاة ابنها عامر، «**امتنع الأفراد من أن يتعاطف معها، وشعروا بأنها تشتشيط غضبا وثورة**»[10].

قاسي: متعقل ورصين وكثير الصمت، ودائم التفكير «**هادئ الأعصاب**.. **صامت لا يستمع إلاّ لفرحة داخلية تصنعها سكينة زائلة**»[11].شخص صبور ومحب لأرضه ومتعلق جدا بها «**في وقت ليس بالبعيد كنت**

1- الرواية، ص72.
2- الرواية، ص196.
3 – الرواية، ص176.
4 - الرواية، ص117.
5 - الرواية، ص115.
6- الرواية، ص ن.
7- الرواية، ص ن.
8 - الرواية، ص40.
9-الرواية، ص276.
10- الرواية، ص313.
11-الرواية، ص22.

سأبيع قطعة من قلبي ولا يمس شبر من أرضي..»[1].

رابح أوحموش: منحرف وسيء الخلق، وجريء يحب النساء «**يقضي جل وقته الضائع في تعقب النساء**»[2] عاشق ومتيم بحب "إيفون"«**التي تصرّ أن تكون علاقتهما سرية**»[3]، وهو طيب وخيّر، يحب مساعدة الآخرين «**فهو الذي اقتنى لمواطنيه الغرفة التي يقيمون فيها، وهو الذي وجد لهما العمل في االمنجم..**»[4]، قوي وشجاع واجتماعي، فهو بمثابة همزة وصل بين الإدارة الفرنسية والشرطة وبين جميع قبائل المنطقة.

سليمان: شرير وغليظ، وسيء الطباع، شرس وكثير التهكّم على الآخرين، يحبّ إثارة الناس وجرح مشاعرهم «**لم يكن ليخسر شيئا من إثارة الآخرين وجرح مشاعرهم لتعوّده على العراك..**»[5]، عنيد وعدواني وحقود «**كان قد أعد نفسه للعداوة والحقد.**»[6]، ولكنه جبان في الوقت نفسه "**فهو أجبن من ثعلب أو دجاجة**"[7]، تعيس وصبور ورهيف الإحساس «**إنه رهيف الإحساس... إنه صبور وليس له سوى ابنتي التي تعرف إلى أي مدى مبلغ حساسيته..**»[8]، وهو شديد الثقة بنفسه ومتكبر وصريح «**فقد سمح لنفسه بأن يكون صريحا، بل يتجاوز الصراحة أحيانا**»[9]، محب ومخلص لزوجته، وغيور ومتشكّك.

شابحة: شخصية متواضعة ومرحة وطيبة «**إنه يعلم بأن شابحة طيبة بالطبيعة..**»[10]، كما أنها شخصية صريحة وعنيدة قوية وذكية، وعاطفية وثرثارة. وهي شخصية خائنة، حيث خانت زوجها مع "عامر"، وإن كانت متعقلة وعفيفة إلا أنها لم تستطع كبت مشاعرها تجاه عامر، «**شابحة عفيفة ولكن الإغراء سوف يكون أقوى منها**»[11]، ولكن حسن سمعتها، واحترام الناس لها حال دون تصديقهم لإشاعة علاقتها بعامر.

---

1 - الرواية، ص23.

2 - الرواية، ص68.

3 - الرواية، ص69.

4 - الرواية، ص64.

5- الرواية، ص99.

6- الرواية، ص102.

7 - الرواية، ص144.

8- الرواية، ص99.

9- الرواية، ص270.

10– الرواية، ص164.

11 – الرواية، ص124.

سمينة: شخصية ثرثارة «**إنها ثرثارة ولن تحتفظ بسر..**»[1]، وهي شخصية محترمة وطيبة، فهي شديدة القلق والحزن، ودائمة التفكير على ابنتها الوحيدة "شابحة" لعدم قدرتها على الإنجاب، فكانت تفسر حتى الأحلام التي تراودها على نحو متعلّق بإنجاب ابنتها، وهي شخصية طموحة وقوية، حيث عملت المستحيل من أجل ابنتها، و لديها شخصية متقلبة، فمن جهة هناك "سمينة" الساذجة والسليمة في الآن نفسه، و"سمينة" المليئة بالرّقة والدهاء وسلامة النية.

رمضان: شخصية طيّبة ومحترمة، فهو رجل متعقل وصريح «**إن قلبي صريح مثل لساني..**»[2]، قوي، «**قوي، شجاع ومخلص في إيمانه بالله ولا يخادع الخالق، يؤمن بقضاء الله وقدره ولا يفزع من الموت ..**»[3]، شخصية مصلحة ومحبة للخير «**فكان يقدم حججا بكيفيات مختلفة لسليمان بنيّة سليمة للإصلاح بينهما ولم تكن نيته تنم عن احتيال...**»[4]، وهو رجل شريف وشهم، وسريع الغضب إذا ما حاول أحد المساس بشرفه أو الإساءة إلى سمعته «**أصبح سكرانا من الغضب**»[5].

حسين: متكبّر ومغرور ومتغطرس ومنافق، كما أنه دنيء ورذيل ومتعود على تمويه الآخرين، وجبان ويظهر هذا من خلال عدم استطاعته على مواجهة عامر كرجل «**كان منهزما ومتعبا وحزينا ومستاء... لقد أحس بالفعل أنه رذيل**»[6]، ولكن رغم الصفات السيئة التي يتميز بها إلا أن قلبه لا يخلو من المشاعر الإنسانية، فقد حزن حزنا شديدا، وبكي "عامر" بإخلاص يوم موته «**كانت دموعه بدون ريب مخلصة وحزنه ظاهر...**»[7].

حمامة: تظهر في الوهلة الأولى طيبة، لكن بالقراءة الجيدة للرواية من بدايتها إلى نهايتها يظهر العكس، فهي شخصية شريرة، فأظهرت نفسها طيبة لأنها زوّجت زوجها لتهب له وريثا، ولكن الحقيقة «**لكي تظهر بمظهر البطلة... ومن أجل أن تسعد نفسها...**»[8]، متكبرة وغيورة وجبانة وقاسية القلب ومتحجّرة المشاعر، فحرمت ضرّتها من رؤية ابنها، فعاملتها بقسوة، فكانت سببا في موتها وهي شخصية لم تكن محترمة من طرف النسوة اللواتي يكن لها في أنفسهن احتقارا.

---

1 - الرواية، ص230.

2- الرواية، ص146.

3 - الرواية، ص127.

4 - الرواية، ص103.

5 - الرواية ،ص283.

6- الرواية، ص289.

7- الرواية، ص 312.

8 - الرواية، ص165.

إيفون: لم يعط السارد الأبعاد الداخلية والنفسية لهذه الشخصية، ولكن من خلال القراءة الجيدة للرواية تظهر بأنها شخصية قوية وذكية «**تعرف كيف تحيي هامة أغلب المكترين البخلاء المتمردين** ..»[1]، خائنة فهي تخون زوجها مع رابح أو حموش، كما أنها متساهلة مع زبنائها «**يهمسون بأن رابح عشيقا لها... وتسمح للآخرين أحيانا بمزحة أو مداعبة أو حتى لمسة...**»[2]، فهي شخصية غير محترمة.

أندري: أهمل السارد الأبعاد الداخلية والنفسية لهذه الشخصية ولكن هناك بعض التلميحات والإشارات الخفيفة التي تظهر أنه ساذج، ومخلص في عمله، ومحب لزوجته وغيور عليها وعلى عشيقها "رابح أوحموش"، وهذا ما دفع به إلى قتل هذا الأخير دفاعا عن شرفه، «**بعدما اجتر غيرته أمدا طويلا، وجد وسيلة ليتخلص من غريمه...**»[3]، كما يملك الحيلة والدهاء، حيث أنه حضر لجريمته بدقة وبرأ نفسه بتمويه السلطات الفرنسية التي أظهر لها بأنه مجرد حادث.

غارين: لم يسهب الراوي في وصف البعد النفسي لهذه الشخصية أيضا، وما ورد في الرواية يظهر بأنها شخصية طيبة، تحب مساعدة الآخرين، ومخلصة في عملها، كما أنها شجاعة وثرثارة، وعاشت ماضي حزين «**قصت عليه جميع ماضيها السابق وآلامها...**»[4].

سي محفوظ: إنسان بسيط ومتكبر في نفس الوقت، يحب التصنّع وشديد الوثوق بنفسه، ومهيب الشخصية، «**كان سي محفوظ رجلا مهيب الشخصية...**»[5]، ومتقلب المزاج، فأحيانا يكون صارما وأحيانا أخرى وديا ورصينا وهادئا، «**يكفي أن يلمح بشيء من الصرامة من خلال نظراته المتلألئة ... وعكس ذلك إذا ما استقبلك بكيفية وديّة، فإنه يصلك من الوهلة الأولى برصانة وهدوء...**» [6] ، كما أنه منافق وكذَّاب، فلم يتحقق الشيء الذي أخبر به "سليمان" في شأن إنجابه لطفل في السنة المقبلة.

نلاحظ اشتراك كل من شخصية "ماري" وشخصية "سليمان" في صفة "الوفاء"، واختلافهما في صفة "الطيبة" و "القسوة"، فـ "ماري" طيبة و"سليمان" قاسي. أما بالنسبة لـ "عامر" و"شابحة" يشتركان في صفة "الطيبة"، ونفيت عنهما صفة "الوفاء".

1- الرواية، ص68.

2- الرواية، ص80.

3- الرواية، ص79.

4- الرواية، ص88.

5- الرواية، ص107.

6-الرواية، ص ن.

ونستنتج أن "الطيبة" و"الوفاء" قد يؤثران على سلوك الشخصية، فتصبح محبّة ووفيّة وأكثر طيبة مثل "ماري"، كما يمكن للوفاء أن يؤثر على سلوك الشخصية فتصبح أكثر صبرا مثل "سليمان".

أما فيما يخص "القسوة" فهي صفة منعدمة عند "عامر" و "ماري" و "شابحة" وموجودة عند "سليمان".

2-تمثلات الآخر:

بعدما قمنا بدراسة شخصيات الرّواية وأبعادها المختلفة تمظهرت شخصيات "الآخر" في كل من: "ماري" زوجة "عامر"، أمّها "إيفون"، "أندري" زوج "إيفون"، "غارين" صاحبة النّزل، "جوزيف ميتار" زوج "إيفون" الثاني، "لوسيان" خادمة في النّزل و"جوزيف" مقيم في هذا النزل، فمن بين الشخصيات المهمة "ماري" التي تمثل "الآخر" (الفرنسي)، فقد لعبت دورا محوريا تدور حولها أحداث الرّواية.

انطلاقا من وصول (الآخر) "ماري" إلى القرية في الظهيرة من فصل الرّبيع شدّ فضول الأهالي وأثارهم، لأنّ مثل هذه الأحداث تهزّ القرية، وبخلاف ما يقال عن أنّ (الآخر) ينظر لـ (الأنا) نظرة متعالية، فإنّ النظرة الاستعلائية انبثقت عن رجال القرية الذين كانوا مستائين من قدوم هذه "الثاروميث" أي "الرومية".

ف"ماري (الآخر) قد تركت الفردوس الأرضي باريس المدينة الحلم ورمت بها الأقدار فأوّل مشكلة ستصادفها "ماري" هو كيف تتفاهم مع كنّتها "كمومة" وبقية نسوة القرية؟ لقد كانت مرتبكة خاصة مع التقاليد التي بدأت تكتشفها، في هذا المجتمع الرّيفي، مجتمع تقليدي جامد، يضع للعرف قاعدة للسلوك، ومعيارا للنظرة إلى الأمور، فالإنسان كائن تتحكم فيه التّقاليد.

ومع مرور الزّمن بدأت "ماري" (الآخر) تتأقلم مع أجواء القرية، لقد بدت سعيدة، إنّها تستلذّ حياة القرية وسط أولئك الفلاحات، وفي حضور تلك المناظر الطبيعية الرّيفية، لقد وجدت بلاد القبائل جميلة.

سيكون لـ "ماري" (الآخر) ألف ذريعة للبقاء في بلاد القبائل في هذا المجتمع، إنّ "تغزران" بحاجة إلى وريث يعتني بالبساتين يحافظ عليها، إنّها الأرض، إنّه الشّرف وسبب الوجود والكينونة[1].

إنّ عنوان الرواية يحمل العديد من التساؤلات والتشوق، ونلمس فيه نوع من الغموض يشوق القارئ ويدعوه لقراءة الرّواية، والعنوان جاء مناسبا لأحداث الرواية "الأرض والدّم" فمن لم يطلع على الرّواية يمكن أن يؤوله على النحو التالي: "الأرض" هي "الجزائر" و"الدّم" هو "دم الشهداء"، ولكن المسألة أكثر حساسية، فالأرض رمز الهوية والأم الثانية للإنسان، إن ابتعد فهو يحن للعودة إليها، أما الدّم فهو السائل الذّي يجري في العروق، وهو الدّم الذي يهبه الوالدين لمولودهما، فدم "رابح" الذي أريق في فرنسا جعله يدفن في أرض غريبة عنه، فهو لم يعد إلى أرضه "إيغيل نزمان" ولكنه عاد إليها عبر ابنته "ماري" (الآخر).

1-ينظر: د. سليم بتقة، تمثلات الآخر في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي (الأرض والدّم) و(ريح السموم) – نموذجا-، (حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية رقم 6)، 2011. www.asgp.cerist.dz.

خاتمة

بعد دراستنا لموضوع "تمثلات الآخر في الرواية الجزائرية الناطقة باللّغة الفرنسية رواية "الأرض والدم " لمولود فرعون أنموذجا" حاولنا من خلالها الإلمام بأهم جوانبه، وقد توصلنا إلى نتائج عدّة أجملها في النقاط التالية:

- يعد موضوع "الأنا والآخر" من المواضيع التي لقيت حظا من قبل الأدباء والمفكرين، فهو من المواضيع القديمة منذ قدم الإنسان، فتكمن أهمية الموضوع من خلال طريقة طرحه وتداوله عند الأدباء والروائيين بشكل خاص.
- تعالج الرواية قضية من قضايا المجتمع الجزائري بصفة عامة، والمجتمع القبائلي بصفة خاصة، وهي قضية الهجرة إلى فرنسا إبّان الاستعمار الفرنسي.
- تمكن الروائي أن يبين لنا مدى الاختلاف الموجود بين الحضارة الشرقية والغربية.
- رصد لنا الروائي في روايتنا هذه إعجاب الأنا (الشرق) بالآخر (الغرب) والانبهار به وهذا سبب التقدم والرقي الذي تزخر به الثقافة الغربية، لهذا نجد "الأنا" انفتحت وحاولت الاندماج والانتقال إلى فضاء "الآخر" والتعرف على حضارتهم وثقافتهم وكذا لكشف الضعف والتخلّف والانحطاط الذي تعاني منه "الأنا".
- أما البناء الروائي فـ "مولود فرعون" نجح في كسر القيود الزمنية، فهو في حركة ارتدادية وتقديمه بين الحاضر، المستقبل والماضي، فجمع بين أحداث مرّ بها "عامر" وغيره في أزمنة مختلفة.
- كان المكان صورة حية لواقع الشخصية ومسرحا للأحداث، فهو الهيكل الذي تتحرك فيه الشخصيات.
- لقد كانت الشخصيات عماد البناء الروائي في الرواية من خلال تفاعلها مع الأحداث باعتبارها مركز الأفكار والمعاني.
- سلّط الراوي الضوء على الشخصيات الرئيسية من بداية الرواية إلى نهايتها، فجاءت مكتملة من جميع النّواحي، كما حملت الشّخصيات كلها أبعادا دلالية تخدم فكرة أراد الراوي إيصالها.

- لمحنا في الرواية تصويرا دقيقا للأحداث، فقد أثبت "مولود فرعون" براعته في ذلك، فهو يجعلك تحس أنّ شخصيات الرواية وأحداثها بكل تفاصيلها حقيقية، حتى أنّك تندمج مع مسار الرواية، وهي فعلا قصة حقيقية.
- مثّلت رواية "مولود فرعون" "الأرض والدّم" شخصيات الآخر بالمستعمر والأوروبي.

وختاما نسأل الله عزّ وجلّ القصد والعفو عن الزّلل.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

أ.المصادر:

- فرعون مولود، رواية الأرض والدم-تر:عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقت للنّشر، بجاية، دط، 2005.

ب.المعاجم والقواميس:

1. وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.
2. معلوف لويس، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، ط 1، لبنان، 1993، 3-السيد عمر، الأنا والآخر(من منظور قرآني)، دار الفكر، دمشق، 2008.
3. مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983.
4. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 2004،
5. مصطفى إبراهيم وآخرون، معجم الوسيط المكتبة الإسلامية، تركيا.
6. الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2008.
7. أبو حاقة أحمد، معجم النفائس، دار النفائس، لبنان، د ت.
8. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.
9. المنجد الأبجدي، المكتبة الشرقية، دار المشرق، ط5، بيروت، لبنان.

ت.المراجع العربية:

1. الشاوي عبد القادر، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000.
2. سليماني أحمد ياسين، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان، ط1، سوريا، 2009.
3. كاظم بشرى الحوشان الشمري، علم نفس الشخصية، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2007 .
4. إبراهيم أسعد ميخائيل، شخصيتي كيف أعرفها؟، دار الأفاق الجديدة، ط3، لبنان، بيروت، 2003.
5. الخيار محمد، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان، 2009.
6. الرويلي ميجان، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الرباط، المغرب، 2000.
7. صالح صلاح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2003.

8. حمود ماجدة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط، المغرب، ط 2، 2003.
9. الجرجاني الشريف، التعريفات، تر: إبراهيم الأبيارى، دار الكتب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1958 .
10. رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية المعاصرة، دار الشروق، ط 1، عمان، الأردن، 2003.
11. كاظم نادر، الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، دار الفراشة، ط2، الكويت، 2016.
12. الغيزني فؤاد كامل، فلسفة ساتر، دار المعارف، مصر، القاهرة، د ت.
13. كاظم نجم عبد الله، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان، 2013.
14. سعيد إدوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2006.
15. عثمانة فايز صلاح، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، مؤسسة الوراق، الأردن، 2014.
16. فوغالي باديس، دراسات في القصة والرواية عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010.
17. القعود فاضل أحمد، جدلية الذات والآخر الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، ط1، عمان، الأردن 2011.
18. حاجم اسماعيل، الصراع الحضاري في الرواية الفرنكوفونية-المغاربية، دار الأمل للنشر والتوزيع.
19. بن صالح نوال، استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون.
20. القصراوي مها حسن، الزمن في الرواية العربية.
21. سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
22. بن نعمان أحمد، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، دار الأمة، (د-ط)1995.
23 . عيلان عمر، محاضرات بعنوان توقيت الرواية ودلالية الزمن الإنساني والنص في رواية بان الصبح، لعبد الحميد بن هدوقة، الملتقى الوطني الثاني في أدب بن هدوقة.
24 . مرتاض عبد المالك، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية رفاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، دط.
25. معلوف أمين، الهويات القاتلة، دار الفرابي، ط3، بيروت (لبنان)، 2015.
26. المرزوقي سمير، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1.

27. السيد ابراهيم، نظرية الرواية، دراسة المنهج النقدي الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر.
28. كحال بوعلي، معجم مصطلحات السرد، دار عالم الكتب، ط1، 2002.
29. سلامة محمد علي، الشخصية الثانوية، ودورها في المعمار الرّوائي عند نجيب محفوظ، ط1، 2007.
30. المصري محمد عبد الغني، مجد محمد البكير الرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، دار الوراق، الأردن، دط، 2002.

ث.المراجع المترجمة:

1. سارتر جان بول، الكينونة والعدم (بحث في الانطولوجيا الفنومينولوجية)، ترجمة نقولا متيني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص 164 .
2. اليفيناس إيمانويل لزمن والآخر، ترجمة منذر عياشي، دار نينوى، ط1، سوريا، دمشق، 2005.
3. ريكور بول، الهوية والسرد تر حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009.

ج.المجلات والرسائل الجامعية:

1. البياتي سوسن، (النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر)، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 3، حزيران، جامعة تكريت، 2010.

2. جاووت الطاهر، السرد وتشكل الهوية (قراءات في الرواية البحث عن العظام)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 13 جامعة بسكرة، الجزائر، 2017.
3. لطرش رابح، بناء الرواية الجزائرية العربية (الزمان، المكان، المنظور)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير، جامعة عين شمس، مصر، 1991.

د.مواقع إلكترونية:

1. إيمان صالح، جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل، 17-5-2008 www.alwatanvoice.com.
2. بتقة سليم، تمثلات الآخر في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي (الأرض والدّم) و(ريح السموم) – نموذجا–، مقال من الانترنيت (حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية) رقم 2011.6، www.asgp.cerist.dz.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل	4
الفصل الأول: إشكالية الأنا والآخر	
تمهيد	6
1- مفهوم الأنا	6
1.1 – لغة:	6
2.1- مفهوم الأنا اصطلاحا:	6
2-مفهوم الآخر	8
1.2- لغة:	8
2.2 – اصطلاحا:	9
المبحث الثاني: مفهوم الهوية	
تمهيد:	11
1 – لغة:	12
2- اصطلاحا:	12
المبحث الثالث: صورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب	
1 – نظرة الشرق إلى الغرب:	15
1.1 – موقف الإعجاب بالآخر:	15
2.1- الموقف العدواني	16
3.1 – الموقف المعتدل والحيادي:	17

.

2 – نظرة الغرب إلى الشرق	17
3– علاقة الشرق (الأنا) بالغرب (الآخر)	20
الفصل الثاني: تمثلات الآخر في رواية "الأرض والدّم"	
المبحث الأول	
1–التعريف بالراوي مولود فرعون	24
2– ملخص رواية الأرض والدم	25
3 –الاطار الزماني والمكاني	27
1.3– أهمية الزمن	27
2.3– أهمية المكان	27
3.3– دراسة الزمان في الرواية	28
1.3.3– أنواع الزمن	28
2.3.3– تداخل الزمن	31
4.3– دراسة المكان في الرواية	33
1.4.3– وصف المكان	33
1.1.4.3– المقاطع الوصفية في الرواية	33
2.1.4.3– الألوان في المقاطع الوصفية	36
3.1.4.3– اللباس في المقاطع الوصفية	37
4.1.4.3 المأكل والمشرب	37
2.4.3– علاقة المكان بالشخصيات	40
المبحث الثاني: شخصيات الرواية	
1–الشخصيات الرئيسية	42
2–الشخصيات الثانوية	43

.

3-الشخصيات العابرة	47
المبحث الثالث: أبعاد الشخصية:	
1-أبعاد الشخصية	50
1.1-البعد المادي:	50
2.1-البعد الاجتماعي:	56
3.1-البعد النفسي:	59
2-تمثلات الآخر	64
الخاتمة	66
قائمة المراجع والمصادر	
فهرس المحتويات	

الملخص:

هذه الأطروحة مخصصة لدراسة تمثلات الآخر في رواية الكاتب الجزائري الشهير "مولود فرعون".حيث أنّ هدفنا هو إظهار كيف مثلت الشخصيات الرئيسية شخصية "الآخر"(المستعمر والأوروبي).

من أجل هذا اخترنا كعمل رئيسي الرواية تحت عنوان "الأرض والدم". قسمنا هذا العمل إلى فصلين رئيسيين: الأول نظري والآخر تطبيقي يحتوي على تحليلات مختلفة أجريت في هذا العمل.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، التمثلات، الشرق، الغرب التهميش، الاستعمار، الأرض، الدم.

Resume:

Ce mémoire est consacré à l'étude des représentations de l'autre dans l'œuvre romanesque du célèbre écrivain algérien Mouloud Feraoun. En effet notre objectif est de montrer comment les personnages principales se représentaient la figure de l'autre (du colon et de l'européen). Pour ce faire, nous avons choisi comme œuvre principale le roman intitulé la terre et le sang. Le présent travail est divisé en deux grands chapitres : un théorique et l'autre analytique qui contient les différentes analyses menées dans ce travail.

Mots-clés : Moi, l'autre, Représentations, orient, occident, marginalisation, colonialisme, terre, sang.